

**الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية  
تفسير التحرير والتنوير نموذجاً**

إعداد

**دكتور / محمد شاكر محمد صهوان**

المدرس في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية  
إيتاي البارود جامعة الأزهر

(العدد الرابع والثلاثون )

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)



الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

محمد شاكر محمد صهوان.

كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، إيتاي البارود،

جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mohamedsahwan.419@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

من المعلوم أن الفاصلة في القرآن هي جزء من الآية، وعنصر تعبيرى متميز، ومثير قوي يحمل دلالات تكمل المعنى المراد، وتتم الفكرة المقصودة، وقد تميزت الفواصل القرآنية بالملاءمة التامة مع المعنى المراد بحيث لا تجد بالفاصلة تقديمًا أو تأخيرًا، حذفًا أو إضافة...، إلا وترى وراء ذلك مغزى بلاغى بجوار رعاية الفاصلة، وهذا الأمر جعل كثير من العلماء يرفضون فكرة رعاية الفاصلة مجردة عن سر بلاغى آخر، ومع ذلك فإنك تجد أن هناك من المفسرين من يعللون - أحيانًا - للظواهر اللغوية في الآيات القرآنية لمجرد رعاية الفاصلة، منهم الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ومع أنه لم يقتصر في كثير من المواضع إلى تحليل الظواهر اللغوية في نهايات الآيات إلى رعاية الفاصلة فقط بل أخذ يبحث عن أسرارها البلاغية، إلا أنه قد اقتصر في تحليله لعدد من المواضع على رعاية الفاصلة، ولعل هذا الأمر غير مقبول؛ لأن فيه دعوى بتحسين اللفظ وحده دون العناية بالمعاني، وهذا ليس من قبيل البلاغة؛ لهذا فقد تتبع البحث تلك المواضع في تفسير التحرير والتنوير، وحاول جاهداً أن يقف على أسرارها البلاغية حتى يظهر السبب الرئيس في مجيء تلك الظواهر في نهايات الآيات القرآنية.

**الكلمات المفتاحية:** إعجاز القرآن. النظم. التحرير والتنوير. الفاصلة

القرآنية. الطاهر بن عاشور.

## **Qur'anic separator between the miracle of rhymes and the allegation of care.**

### **Interpretion of Al Tahrir and Al Tanweer as example.**

Mohamed Shaker Mohamed Sahwan.

Faculty of Arabic Language in Itay El-Baroud, Al-Azhar University, Itay El-Baroud, Arab Republic of Egypt

**Email:** mohamedsahwan.419@azhar.edu.eg

**Abstract:** It is known that the Separator (the end of a verse in the Qur'an as the rhyme in poetry) is part of the verse, a distinct expressive element, and a strong stimulus that carries connotations that complement the intended meaning and complete the intended idea. The Qur'anic Separators have been characterized by their perfect fit with the intended meaning, so that you do not find in the Separator an advance or delay, deletion or addition unless you see behind that a rhetorical significance with the Separator care, and this matter made many scholars reject the idea of caring for the Separator abstracted from another rhetorical secret, and yet you find that there are exegetes who justify - sometimes - the linguistic phenomena in the Qur'anic verses just to care for the Separator, including Imam al-Tahir bin Ashour in his interpretation (Al Tahrir and Al Tanweer) and although in many places he did not confine in many places to the explanation of linguistic phenomena in the ends of the verses to the care of the Separator only, but he began to search for its rhetorical secrets, but he limited in his reasoning to a number of places to the care of the Separator, and perhaps this is not acceptable; Because it is a claim to improve the pronunciation alone without caring for the meanings, and this is not a form of rhetoric; Therefore, the research has tracked those places in the interpretation of (liberation and enlightenment) and tried hard to find out their rhetorical secrets so that the main reason for the appearance of these phenomena appears at the end of the Qur'anic verses.

**Keywords:** the miracle of the Qur'an. systems. Liberation and Enlightenment. Holy Quran. Taher bin Ashour.

## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ونبيه محمد ﷺ، ولم يجعل له عوجا، فكان حجته ودليل نبوته، أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير، بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد... فمن المعلوم أن القرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق؛ لذا قد تقدر بنظمه الذي أظهر الله به الحق، وأعجز عن مجاراته الخلق، وتحدى به البلغاء، وأظهر به وهن الفصحاء، جذب الأسماع بحلاوة جرسه الذي خلا من القيود التي تتحكم في المعاني وتفسد الدلالات، فتجد فيه من جماليات التكوين الصوتي ما يجعل النفس شغوفة بسماعه دون ملل أو نفور، وتلك سمة من سمات إعجازه التي لا تحصى، إلا أن كثيرا من البلاغيين والمفسرين استهواهم جمال النغم وقوة الإيقاع خصوصا ما لاحظوه في الفاصلة القرآنية من جرس يطرب المتلقي ويثير الشجون في نفسه، مما جعلهم يعللون لبعض الظواهر التركيبية التي وردت في الفواصل القرآنية كالتهديم والتأخير والحذف... وغيرها، على أن ورودها في مكانها إنما هو لرعاية الفاصلة فحسب، دون أن يتتبعوا دلالات السياق ومتطلبات المعنى للوقوف على الأسرار البلاغية التي تنتج من وراء تلك الظواهر التي اشتملت عليها تلك الفواصل، ولم يكشفوا عن دور هذه الظواهر في بناء المعاني وتناسبها مع دلالات السياق ومتطلبات المقام، وهذا يخالف الأصل المتعارف عليه عند أهل العلم، وهو أن كل حرف أتى في كتاب الله - تعالى - إنما أتى لمعنى، ولو أدير على لسان العرب ما وجد ما يسد مسده، وكان الطاهر بن عاشور من هؤلاء الذين تناولوا الفاصلة القرآنية بمزيد عناية ورعاية في تفسيره الموسوم بـ (التحرير والتنوير)، وهو على الرغم من عنايته الشديدة بتتبع أسرار كتاب الله - ﷻ - إلا أنه كان في بعض الأحيان يقف مع الفاصلة القرآنية ناظرا إلى ما اشتملت عليه من ظواهر أسلوبية على أنها ما أنتت في السياق إلا لمجرد رعاية الفاصلة، دون أن يسبر

أغوار تلك الظواهر؛ ليكشف عن دورها الكبير في بيان المعاني والدلالات، مما جعلني أتتبع بالاستقراء، والحصر تلك المواضع التي نص على أنها ما أتت على هذا النحو من النظم إلا لرعاية الفاصلة؛ وقمت بتصنيفها حسب الظواهر التركيبية الواردة فيها من تقديم وتأخير وحذف...، محاولاً الكشف عن أسرارها البلاغية ومناسبتها للسياق التي وردت فيه؛ مدفوعاً في ذلك بما ثبت يقيناً في نفسي أن الفاصلة القرآنية ذات علاقة وطيدة بالإعجاز البياني، وأسلوب النظم القرآني من حيث الشكل والمعنى؛ فهي ليست أمراً شكلياً أضفى على البيان جمالاً ورونقاً فحسب، بل هي فوق ذلك معجزة في معانيها، وتمكنها في مواضعها، وهذا هو لب الدرس البلاغي الذي لا يفصل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه، فلا يعتد بمعان جليلة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تُضَيِّع المعنى أو تجور عليه، ومن هنا كان هذا البحث الذي أتى بعنوان:

### **(الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية "تفسير التحرير والتنوير نموذجاً")**

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:  
أما التمهيد: فقد تناولت فيه:

- تعريف الفاصلة، والفرق بينها وبين السجع.
  - الظواهر التركيبية في الفاصلة بين الرعاية والإعجاز.
  - منهج الطاهر بن عاشور في دراسة الفواصل القرآنية.
- وأما المبحث الأول: فقد تناولت فيه التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية.
- وأما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه الحذف في الفاصلة بين الإعجاز والرعاية.
- وأما المبحث الثالث: فقد تناولت فيه إحلال لفظ محل آخر في الفاصلة بين الإعجاز والرعاية.

الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

ثم شفعت بحثي بخاتمة رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج  
وتوصيات، وتلاها ثبت بأهم المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى اللهم وسلّم وبارك على  
أشرف الخلق وأسعدهم سيّدنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدكتور

**محمد شاکر محمد صهوان**

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

## التمهيد

### تعريف الفاصلة:

الفاصلة أصلها من الجذر (فَ صَ ل) وتدور معاني هذا الجذر اللغوي حول: التمييز، والقطع، والحجز، والانفصال، والبيان والتوضيح، يقول ابن منظور: "الفصل هو بون ما بين الشئيين...، وقيل الفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النظم، وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة"<sup>(١)</sup>، وقيل: "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه"<sup>(٢)</sup>.

### الفاصلة القرآنية:

عرف الرماني الفاصلة بأنها: حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني<sup>(٣)</sup>، وذكر بدر الدين الزركشي "أن المقصود بالفاصلة" هي كلمة آخر الآية، ككافية الشعر وقرينة السجع"<sup>(٤)</sup>، وعرفها الطاهر بن عاشور بقوله: "والذي استخلصته أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر

---

١- لسان العرب، محمد منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ) مادة (ف ص ل)، دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ): ٤/٥٠٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي عبد القاهر الجرجاني: ٩٧، تحقيق محمد خلف، ومحمد زغلول، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٣٧٩هـ.

٤. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ): ١/٥٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.



حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها وتكرر في السورة تكررًا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آياته كثيرة متماثلة<sup>(١)</sup>

### الفرق بين الفاصلة والسجع:

يفرق الإمام الرماني بين الفاصلة والسجع فيقول: "والفواصل بلاغة والأسجاع عي"<sup>(٢)</sup>، وذلك ما أبان عنه الإمام الباقلاني في قوله عن الفواصل: "يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة، والأسجاع عيب؛ لأن السجع يتبعه المعنى، والفواصل تابعة للمعاني"<sup>(٣)</sup> فالسجع يلوي بالمعاني فيلبسها ثوبا لا يكشف عن معدنها ولا يبين عن محاسنها، بخلاف الفاصلة التي تشيد في حصن المعاني؛ لتكون علامة على ما تحويه من دلالات، وإشارات؛ لذلك فإنك تجد الفاصلة دائما تامة المعنى، ويستحيل أن يكون فيها إخلال بالمقصود، أما السجع فكثير ما يأتي مخللاً بالمعنى.

### الظواهر التركيبية في الفاصلة بين الرعاية والإعجاز:

من المعلوم أن اللغة العربية تحفل بظواهر مختلفة في بناء تراكيبها وتشديد أساليبها، وقد استعمل القرآن الكريم تلك الظواهر في التعبير عن مقاصده، فتراه يقدم ويؤخر، ويزيد في أحرف الكلمة وينقص، وقد حظيت فواصل الآيات القرآنية بنصيب وافر من تلك الظواهر مما جعلها موضع عناية من قبل المفسرين والبيانين حتى كثرت آراؤهم وتعليقاتهم؛ فمنهم من يرى أن القرآن الكريم يعدل في ترتيب جملة الفاصلة قاصدا المغايرة في النظم بالتقديم والتأخير أو المغايرة في نسق الألفاظ فيزيد وينقص في حروفها من أجل رعاية

---

١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): ١ / ٧٥، الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤هـ.

٢. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٧

٣. إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣هـ): ٢٧٠ - ٢٧١، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

الفاصلة، وممن ذهب إلى القول بهذا الإمام الفراء، إذ يقول عن قوله - تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ (٧)﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿ (سورة الملك: ١٧ ، ١٨) : «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» «نَذِيرِ» وذلك أنهن رعوس الآيات، لم يكن في الآيات قبلهن (ياء) ثانية فأجرين على ما قبلهن إذا كان ذلك من كلام العرب<sup>(١)</sup>، وصار شمس الدين الصائغ على هذا النهج؛ حيث نقل عنه الإمام السيوطي قوله: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً"<sup>(٢)</sup>، وكان ابن الأثير من القائلين بأن الظواهر التركيبية الواردة في الفاصلة القرآنية إنما هو لغرض الرعاية، ويفهم ذلك من رده على الزمخشري في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة، الآية: ٥): حيث قال: "قد ذكر الزمخشري في تفسيره<sup>(٣)</sup> أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص، وليس كذلك؛ فإنه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، وإنما قدم لمكان نظم الكلام؛ لأنه لو قال: (نعبدك ونستعينك) لم يكن له من الحسن ما لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ألا ترى أنه تقدم قوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ سورة الفاتحة الآيات (٢ : ٤)، فجاء بعد ذلك قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،

١- معاني القرآن، الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ): ١/٢٠١، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

٢- الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): ٢/٢٦٥، تحقيق سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م .

٣. يراجع كلام الزمخشري في، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): ١/ ١٣، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجا

وذاك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون، ولو قال: نعبدك ونستعينك؛ لذهبت تلك الطلاوة"<sup>(١)</sup>.

وعلى الجانب الآخر تجد جماعة من أهل العلم لا يميلون إلى هذا الرأي، بل يعدون القول به عيبا، فتراهم يتأملون تلك الظواهر بحثا عما وراءها من أسرار، فلا يفتقون عند القول بأن النظم عدل عن أصلٍ أو غير بنية من أجل رعاية الفاصلة، فجعلوا "الفواصل تابعة للمعاني"<sup>(٢)</sup>، وليست المعاني تابعة لها، ومن ذلك ما نقله الإمام السيوطي عن الإمام الزمخشري في كشفه القديم، قوله: "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرد ما إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتأمة، فأما أن يهمل المعاني ويهتم بتحسين الألفاظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة"<sup>(٣)</sup>، كما رفض الإمام أبو حيان في البحر المحيط أن يعلل للتقديم والتأخير بمجرد مراعاة الفاصلة؛ فقال: "وقدم الأشرف في مثلين، وهو الظل والحر، وآخر في مثلين، وهما البصير والنور، ولا يقال لأجل السجع؛ لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه، وفي المعنى"<sup>(٤)</sup>، وقد عاب الإمام البقاعي على من عللوا للظواهر اللغوية لمجرد رعاية الفاصلة، فيقول: "وهذه الآية في أمثالها من أي هذه السور وغيرها مما قدم فيه ما يتبادر أن حقه التأخير وبالعكس لأنحاء من المعاني دقيقة، هي التي حملت بعض من لم يرسخ إلى أن يقول: إن القرآن يراعي الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب

---

١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد، المعروف بابن الأثير

الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ): ٣٦/٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة

العصرية للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢. إعجاز القرآن للباقلاني: ١٢.

٣. الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ٢٨٢.

٤. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): ٢٦ / ٩، تحقيق:

صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

السجع، وتبعه جمع من المتأخرين تقليداً<sup>(١)</sup>، ويقول أيضا: "لا ينبغي الاغترار بما يوجد في بعض كتب الأمثال من المتأخرين، كالبيضاوي و التفتازاني، من تخريج بعض الفواصل على السجع؛ لأنه خولف فيها النظم الذي ورد في سورة أخرى، مثل: "هارون وموسى" أو عدل عن عبارة إلى عبارة أخرى، لمثل ذلك، نحو قوله -تعالى- في سورة يس: ﴿فَمَا اسْتَبْطَءُوا مِصْرًا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ الآية: ٦٧، قال البيضاوي: إن الأصل كان: ولا رجوعا، فغير لموافقة الفواصل، وهذا أمر عظيم، لا تليق نسبته إلى جلال الله، فهي زلة عالم حقيقة، يشتد النفور عنها، والبعد منها"<sup>(٢)</sup>.

والحق أن الاتجاه الذي يتلمس الأسرار البلاغية داخل الظواهر التي تدخل بناء الفواصل القرآنية لهو الأنسب والأجدر ببلاغة القرآن الكريم وبراعة أدائه؛ وذلك لأسباب؛ منها:

- أن هذا القول يجمع للنظم الحكيم جمال الإيقاع وروعته مع كمال المعنى ودقته.
- القول بأن تلك الظواهر إنما هي لمجرد رعاية الفاصلة فيه إكراه للمعاني على ارتداء ما لا يناسبها من ألفاظ، وكلام الله بعيد عن هذا الأمر فلا تجد اللفظة إلا في ثوبها الذي يظهر جمال مظهرها وحسن مخبرها.
- إذا كان العلماء يعيبون خروج الكلام عن نسقه المعهود في الشعر لغرض الحفاظ على الوزن، ويصرحون بأن حق الأسماء والأفعال أن تأتي في الشعر مستقيمة كما بنيت، دون أن يضطر الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة والنقصان، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال المؤلفة منها على ترتيب ونظام دون أن يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): ١٢ / ٣١٠، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للإمام البقاعي، (المتوفى: ١٢٠٥هـ): ١ / ١٧٨: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

منها<sup>(١)</sup>، وإذا كان هذا الأمر غير مقبول في الشعر مع ما فيه من تقيد بوزن وقافية، فهو غير مقبول البتة أن يقال في القرآن الكريم.  
- أحياناً نجد النظم الحكيم لا يراعي الفاصلة، بل قد يأتي بها مغايرة عما تجاوزها لاستدعاء المعنى هذا التغيير، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى.

وعليه فإنه يمكن القول: إن التناسب الصوتي في الفاصلة القرآنية من الأمور التي لا يمكن إغفالها أو التهوين من شأنها، بل له قيمة جمالية وأثر فعال في نسق الكلام، واعتدال المقاطع، وجذب انتباه السامع؛ لما له من وقع جبل على حبه الناس، وتأثير تستريح له الآذان، وتتجذب له الأفهام، كما أنه من تمام بلاغة النظم الذي احتوى كل ألوان الفصاحة واشتمل على كل ألوان الإبداع، لكن لا يؤتى بتلك الظواهر لأجل النسق الصوتي فحسب، بل يؤتى بها لما تحمله من وظيفة دلالية، وبلاغة مستقلة بنفسها تنادي على جمالها بموسيقى لفظها، وتُخشع قلب سامعها ببلاغة معناها، وتقع عقل منصتها ببيان حجتها، بحيث يتألف الجرس مع المعنى، ويكون النسق الصوتي تابعا للدلالة، فيؤدي المراد بأرهم لفظ وأروع تعبير وأجمل إيقاع حتى تأتي الفاصلة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها، لا فيها نفور ولا قلق، وقد أكد الإمام الرماني على هذا المعنى بقوله: "وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها"<sup>(٢)</sup>، وقد تظهر تلك الدلالات للمتدبر وقد تغمض عنه، إلا أن "منطق الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنُقر بالقصور عن إدراكه"<sup>(٣)</sup>.

- ١- يراجع، نقد الشعر، قدامة بن جعفر، (المتوفى: ٣٣٧هـ): ٦٢، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.
٢. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٨.
- ٣- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن: ٢٥٨، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

## منهج الطاهر بن عاشور في دراسة الفاصلة القرآنية

المطالع لتفسير الإمام الطاهر بن عاشور يجد أنه لم ينح منحاً واحداً في حديثه عن الفواصل القرآنية، بل توسع في ذلك فتعددت طرق معالجته للفواصل القرآنية؛ على النحو التالي:

أ- تارة تجده يتلمس الأسرار البلاغية وراء التعبيرات التي وردت عليها الفاصلة القرآنية دون الركون إلى القول بأن ما ورد من ظواهر داخل ببيان الفاصلة القرآنية سببه مجرد رعاية الفاصلة، وقد أكثر من هذا النهج في تفسيره، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسيره قول الله - ﷻ - ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة، من الآية: ١٤٣)، وتقديم (بالنَّاسِ) على متعلقه وهو (الرَّءُوفُ رَحِيمٌ)؛ للتنبيه على عنايته بهم إيقاظاً لهم ليشكروه مع الرعاية على الفاصلة<sup>(١)</sup>، ومن ذلك تعليقه على قوله - تعالى -: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الرَّاهِدِينَ﴾ (سورة يوسف من الآية: ٢٠)، وتقديم المجرور على عامله؛ للتنويه بشأن المزهود فيه، وللتنبيه على ضعف توسمهم وبصارتهم مع الرعاية على الفاصلة<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره قوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ سورة عبس الآيتان: (٣٤، ٣٥) "وقدمت الأم في الذكر؛ لأن إلف ابنها بها أقوى منه بأبيه وللرعي على الفاصلة"<sup>(٣)</sup>، بل تجده يرد على الإمام القرطبي في أنه حمل بعض مظاهر العدول داخل الفواصل على الرعاية دون بيان أسرار هذا العدول، وتراه يحاول جاهداً أن يكشف عن أسباب العدول وأسارره وذلك عند قوله - تعالى: ﴿أَدْعَوْهُمْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (سورة الأعراف من الآية: ١٩٣)، حيث يقول: "ووقع قوله: ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ معادل (أدعوتموهم) مع

١. التحرير والتنوير: ٢ / ٢٦.

٢. السابق: ١٢ / ٢٤٤.

٣. السابق: ٣ / ١٣٥.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجا

اختلاف الأسلوب بين الجملتين بالفعلية والاسمية، فلم يقل: أم صمتم، ففي تفسير القرطبي<sup>(١)</sup>، عن ثعلب: أن ذلك لأنه رأس آية، أي: لمجرد الرعاية على الفاصلة، قال: وصامتون وصمتم عند سيبويه واحد، أي: الفعل والوصف المشتق منه سواء، يريد لا تفاوت بينهما في أصل المعنى،... فيكون العدول إلى الجملة الاسمية ليس له مقتض من البلاغة بل هما عند البليغ سيان، ولكن العدول إلى الاسمية من مقتضى الفصاحة،... والتحقيق أن الجملة الاسمية دلت على ثبوت الوصف المتضمنة، مع عدم تقييد بزمان ولا إفادة تجدد، بخلاف الفعلية...<sup>(٢)</sup>.

ب- وتارة أخرى تجده يعزو الظواهر التي تعنري الفواصل إلى الرعاية مع ذكر سبب موجز كالاهتمام، لكنه لا يذكر من أين كانت تلك الأهمية؟ وبم كانت؟، ومن ذلك قوله في معرض حديثه عن قول الله - تعالى -: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤) "تقديم للمجرور الذي هو معمول (يوقنون) على عامله، وهو تقديم لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة<sup>(٣)</sup>، وقوله في معرض حديثه عن قوله - تعالى -: ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْزَلْنَاهَا كَارِهُونَ﴾: "وتقديم المجرور على (كارهون) لرعاية الفاصلة مع الاهتمام بشأنها"<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك قوله في تفسير قول الله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ كَانَتْ مِنْهُمْ أَسْمَاءٌ مَقْتُولَةٌ﴾ (الإسراء: ٣٦): "وقدم (عنه) للاهتمام، وللرعي على الفاصلة"<sup>(٥)</sup>،

١- يراجع رأي الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): ٧ / ٣٤٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢. التحرير والتنوير: ٩ / ٢١٩.

٣. السابق: ١ / ٢٤٠.

٤. السابق: ١٢ / ٥٣.

٥. السابق: ١٥ / ١٠٢.

ومن ذلك تعليقه على تقديم الجار والمجرور في قوله - تعالى - : ﴿فَأَسْأَلُ بِهِ خَيْرًا﴾ بقوله: "وتقديم المجرور للرعي على الفاصلة وللاهتمام" <sup>(١)</sup>.

ج- وتراه أحيانا أخرى يعلل للظواهر الموجودة في الفواصل بالتخفيف والرعاية على الفاصلة، ومن ذلك تعليقه على حذف (الياء) في قوله: ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٧) " وحذفت (ياء) المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفا، وللرعاية على الفاصلة. ونظائره كثيرة" <sup>(٢)</sup>، ومن ذلك قوله: وحذفت ياء المتكلم من (نذيري) تخفيفا وللرعي على الفاصلة" <sup>(٣)</sup>.

د- وتراه أحيانا يعزو الظواهر التي تأتي في الفواصل إلى الإيجاز وللرعي على الفاصلة، ومن ذلك تعليقه على قول الله - تعالى - : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾ <sup>(٤)</sup> (القمر، الآية: ١٠)، "وحذف متعلق فانتصر للإيجاز وللرعي على الفاصلة، والتقدير: فانتصر لي، أي انصرتني" <sup>(٥)</sup>.

هـ- وأحيانا تجده يذكر الظواهر التي تدخل الفاصلة، ويرجعها إلى مجرد الرعاية، دون ذكر أي سبب آخر أو ملمح بلاغي، وهذه المواضع هي مقصد البحث ومبتغاه، وسيعرض البحث حصرا بتلك المواضع محاولا تلمس الأسرار البلاغية التي استدعت بناء الفاصلة على هذا النحو، ومن يدقق النظر في الظواهر التي دخلت الفواصل يجد أنها تنحصر في:

١. تقديم ما حقه التأخير.
٢. حذف حرف من الكلمة.
٣. إحلال لفظ محل الآخر (الجمع موضع المفرد، الاسم موضع الفعل...)

١. السابق: ١٩ / ٦١.

٢. التحرير والتنوير: ٢١ / ٢٢.

٣. السابق: ٢٩ / ٣٦.

٤. السابق: ٢٧ / ٣٦.

٥. السابق: ٢٧ / ١٨٢.



وابن عاشور في معالجته للفواصل القرآنية يؤمن بأن مراعاة الفاصلة في حد ذاتها تعد من "مقتضيات الفصاحة"<sup>(١)</sup>؛ لهذا تجده يصرح بذلك في مواضع مختلفة فيقول: "واعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع"<sup>(٢)</sup> ويقول: "وفواصل القرآن من مميزات فصاحته، فلها حظ من الإعجاز"<sup>(٣)</sup>، ويقول أيضاً: "الفواصل والأسجاع من أفانين الفصاحة، وفيهما تظهر براعة الكلام؛ إذ يكون فيه إيفاء بحق الفاصلة مع السلامة من التكلف، كما تظهر براعة الشاعر في توفيقه بحق القافية إذا سلم مع ذلك من التكلف"<sup>(٤)</sup>، وهذا يدل على أن ابن عاشور يعد مراعاة الفاصلة لون بلاغي ومن كمال البلاغة، فإذا ظهر له مع الرعاية سر بلاغي آخر أبان عنه، وإلا اكتفى بالقول بالرعاية.

١. التحرير والتنوير: ٢٥٩/٩.

٢. السابق: ٧٦/١.

٣. السابق: ٢٢/٢٢.

٤. السابق: ٢٢/٢٢.

## المبحث الأول

### التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية

من المعلوم أن بناء الجملة في العربية يقوم على نظام خاص يحدده علم النحو ويقف على طرائقه ومواقع ألفاظه، وقد تخرج الجملة عن هذا البناء، فيقدم ما كان مؤخرًا، ويؤخر ما حقه التقديم، وهو خروج خاضع لأغراض أسلوبية وأسرار بلاغية تستفاد من سياق الكلام ومتطلبات المقام، فلا يستقيم البناء إلا بها ولا يكتمل المعنى بدونها، وقد كشف الإمام عبد القاهر عن أثر التقديم والتأخير في الكلام؛ فيقول: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من ذلك إلا أنك تجد الطاهر بن عاشور في حديثه عن عدد من الفواصل القرآنية التي دخلها التقديم والتأخير يرى أن الذكر الحكيم إنما قدم وأخر من أجل رعاية الفاصلة، مكتفيا بذلك دون أن يكشف عن وجه من وجوه المناسبات الأخرى؛ ومن هذه المواضع:

١. قول الله - تعالى - : ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة: آية : ١١٣ .

ذهب الإمام الطاهر إلى أن: "تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ للرعاية على الفاصلة"<sup>(٢)</sup>، واكتفى بذلك دون تعليل أو رصد لغاية أخرى، والحق أن رعاية الفاصلة هي إحدى مقاصد القرآن الكريم، إلا أنها أمر

١. دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ):

١٠٦، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة:

الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢. التحرير والتنوير: ٧/ ١٠٧ .

تابع للمعنى؛ لهذا كان لابد من وجود سر بلاغي آخر يكشف عن سبب هذا التعبير.

ومن يتسمع همس السياق يجد أنه يتحدث عن قصة مائدة سيدنا عيسى - عليه السلام - تلك المائدة التي حكى القرآن أمرها في قوله - تعالى - : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ قَالَوا نُريدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿﴾ (سورة المائدة من الآية : ١١٢ - ١١٤)، وقد كشف السياق هنا عن أمرين مهمين، أولهما: ضعف إيمان تلك الفئة، وثانيهما: شدة تعلق هؤلاء بطلبهم وحرصهم على تحقيقه.

أما الأمر الأول: فيظهر جلياً فيما سجله القرآن عليهم من ندائهم لنبينهم عيسى - عليه السلام - باسمه واسم أمه "ولم يقولوا : يا رسول الله، ولا: يا روح الله، ونحو هذا من التبجيل أو التعظيم"<sup>(١)</sup>، كما سجل عليهم قولهم لنبينهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، يقول الإمام الزمخشري: "وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى - عليه السلام - لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه... إن كانت دعوكم للإيمان صحيحة"<sup>(٢)</sup>؛ لهذا ختم الآية بأسلوب شرط أداته (إن)، التي تدل على الشك؛ لأن ما طلبوه لا يقع من إنسان استقر الإيمان في قلبه، ودل على أن إيمانهم "لم يكن عن تحقيق منهم ولا عن معرفة بالله . تعالى . وقدرته"<sup>(٣)</sup>.

١. نظم الدرر : ٦ / ٣٥٥ .

٢. الكشاف : ١ / ٦٩٣ .

٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) : ٤ / ٥٦، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

أما الأمر الثاني: وهو شدة تعلقهم بما طلبوه، ورغبتهم في إنزال تلك المائدة، فقد كشف النظم الحكيم عنه بما حكاه عنهم في قوله - تعالى -: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَنْظُمِينَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ حيث جمع هؤلاء عددا من الأعدار ذكرها القرآن وراعى في ترتيبها التتبع النفسي والزمني، فصدر هذه الأعدار بقولهم: (نريدُ أن نأكلَ منها) ليكشف عن شدة حبههم للأكل من هذه المائدة وتعلق قلوبهم بها.

وبعد أن كشف السياق عما اجتمع في نفوسهم من ضعف في الإيمان، ورغبة شديدة في نزول المائدة، جاء ختام الآية؛ ليجمع ذلك كله ببلاغة عالية، ويدل عليه ذلك مجيء الجار والمجرور مقدما في قوله - تعالى -: ﴿عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾؛ وقد أفاد هذا التقديم جمع المعاني السابقة والتأكيد عليها، وما أجمل أن يأتي الكلام البليغ بنهايات موجزة تجمع ما جاء قبلها؛ فيترسخ في ذهن السامع ويؤكد المراد من الكلام، وهذا ما حققه التقديم؛ حيث أكد على شدة تعلقهم بالمائدة وترقيهم لها، وعكس ما تكنه قلوبهم من اهتمام بها أكثر من أي شيء آخر، فقدموها في كلامهم، رغبة منهم في أن يقع اهتمامهم هذا موقعه في نفس نبيهم عيسى - عليه السلام - فيبادر إلى تحقيق طلبهم وما تعلقت به قلوبهم، ومعلوم أن من أغراض التقديم العناية والاهتمام، فما كانت العناية به أكبر قدمه المتكلم في الكلام، فهؤلاء قدموا "الذي بيأنه أهمُّ لهم وهم بشأنه أعنى"<sup>(١)</sup>، وما تعلقت به قلوبهم، وركنت إليه نفوسهم.

ولاحظ كيف استعمل النظم خاصية التقديم في غرس الجار والمجرور بين عناصر الجملة الاسمية المنسوخة (نكون) واسمها - وهو الضمير المستتر وجوبا (نحن) - من ناحية، وبين متعلق الخبر (من الشاهدين) من ناحية أخرى؛ ليدل بذلك على حقيقة أمرهم، ويكشف عما في نفوسهم من رغبة في

١. دلائل الإعجاز: ١٠٧.

عدم القيام بالشهادة والتبليغ عند من لم يحضر هذه الآية، وأن حجتهم حجة فاسدة، فالشهادة عندهم غير مقصودة، وإنما المقصد هو حصول مطلبهم.

٢. يقول الله - تعالى - : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة المائدة، الآية: ١٢٠)

يقول الإمام الطاهر: "وتقديم المجرور ب(على) في قوله - تعالى - : ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ للرعاية على الفاصلة المبنية على حرفين بينهما حرف مد"<sup>(١)</sup>، واكتفى - رحمه الله - بذلك، والناظر لهذه الفاصلة القرآنية يجد أنها تكررت في القرآن في سبعة مواضع؛ ثلاثة منها جاءت الفاصلة بعد إثبات عبودية كل الموجودات لله - تعالى -، وملكه لهم، وهي: موضع سورة المائدة، وموضع التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية: ١)، وموضع سورة تبارك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية: ١)

ومنها ثلاثة مواضع جاءت الفاصلة بعد الحديث عن قضية الإحياء والبعث والرجوع إلى الله، وذلك في سورة هود في قوله - تعالى - : ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية: ٤)، وسورة الروم في قوله - تعالى - : ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية رقم: ٥٠)، وسورة الشورى في قوله - تعالى - : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية رقم: ٩).

وموضع واحد جاءت الفاصلة بعد الأمرين معا، وهو موضع سورة الحديد، في قوله - تعالى - : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الآية: ٢)، ومعلوم أن قدرة الله - تعالى - ليست مقتصرة على

١. التحرير والتنوير : ٧ / ١٢٠ .

هذين الأمرين، بل إن وجه القدرة الأعظم كونها عامة على جميع المخلوقات المعلومة لنا وغير المعلومة، وهذا يكشف عن سر قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وتأمل قوله - تعالى - : ﴿يَلَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تجد أن النظم الحكيم قد ذكر ملكية السموات والأرض وما فيهن لله، لكن أهدا هو كل خلق الله أم أن خلقه أوسع من ذلك؟ المعلوم يقينا أن خلق الله أعم وأوسع من ذلك، فما السموات والأرض ومن فيهن إلا جزء من خلق الله، لكن "لما كان ذلك أنهى ما نعلمه، عم بقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: من ذلك وغيره من كل ما يريد"<sup>(١)</sup>، وحتى لا يخيل لأحد أن قدرته - ﷻ - متعلقة بالمذكور دون غيره، قدم النظم الحكيم الجار والمجرور: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ للتبويه بهذا الأمر والاهتمام به، كما أن ذكر الجار والمجرور مقدا على القدرة جعل ما يفهم من الجار والمجرور يدخل في تلك القدرة، وينطوي تحت لوائها، فلا يكون شيء في الوجود علم أمره أم جهل إلا وهو يسير وفق قدرته ويدور في فلك حكمته، ولو تأخر على القدرة لتوهم أن قدرته مقتصرة على ما تقدم دون ما عداه، وهذا محال على الله؛ لأنه لا يخرج مخلوق عن مجال قدرته، وعليه فتكون الفاصلة بما احتوته من تقديم وتأخير قد أكدت ما سبقها من معنى وأضفت على السياق دلالة جديدة من شأنها أن ترد أي توهم من شأنه أن يجعل قدرة الله قاصرة أو محددة بل هي قدرة مطلقة.

٣ - يقول الله - تعالى - : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٤)

ذكر الطاهر بن عاشور أن: "تقديم المجرور للرعاية على الفاصلة"<sup>(٢)</sup>، ومن يراجع تلك الآية الكريمة يجد أنها تكررت مرتين في القرآن الكريم؛ مرة في

١. نظم الدرر : ٦ / ٣٧٠.

٢. التحرير والتبويه : ٧ / ١٣٥.

سورة الأنعام، والثانية في سورة يس<sup>(١)</sup>، وكلا الموضعين في سياق حديث القرآن عن الكفار وتعننتهم مع الحق وبيان كفرهم بآيات ربهم، وإصرارهم على الإعراض عنها بالكلية، وقد صاغ النظم الحكيم تلك الحقيقة بما يكشف عما احتوته صدورهم من عناد وإصرار، فجاء التركيب مبنيا على أسلوب الاستثناء المفيد للتوكيد، وأتى به على طريق النفي والاستثناء الذي يستعمل في الغالب مع شدة الإنكار، وهذا أنسب لبيان حال هؤلاء المعارضين، وأدخل النفي في قوله: (ما يأتيهم) على صيغة المضارع؛ للدلالة على الاستمرار والتجديد، فدل على أن الإتيان بالآيات كان أمرا مستمرا، ولعل السبب من مجيء الآيات لهم بهذه الكيفي؛ آية تأتي تتبعها أخرى؛ هو أن جعل هذه الآيات أساليب ووسائل من شأنها أن تكشف الغشاوة عن أبصارهم، وترشدهم إلى طريق ربهم، وأتى بـ (من) في قوله: (من آية) لإفادة الاستغراق، مما يدل على أن موقف هؤلاء القوم كان موقفا ثابتا مع كل ما جاءهم من الآيات لم يعترضه أي تغير، وقد نفيد (من) "تأكيد النفي؛ لقصد عموم الآيات التي أتت وتأتي"<sup>(٢)</sup> وهذا - أيضا- يعضد ثبات موقفهم وشدة إنكارهم، وتأمل إسناد الآيات إلى "اسم الرب المضاف إلى ضميرهم؛ لتفخيم شأنها المستتبع لتحويل ما اجترأوا عليه في حقها"<sup>(٣)</sup>، فليس إنكارهم لشيء أتى إليهم من قبيل بشر أو أحد يستهان بأمره، وإنما أتى لهم من عند ربهم، وهذا أدل على العناد والتمرد، ثم تأتي فاصلة الآية لتجمع خيوط هذه المعاني السابقة مؤكدة على دلالة الآية ومضمونها في نظم عجيب فريد؛ حيث أتى بـ (كان) الدالة على توغلهم في إعراضهم وثباتهم على موقفهم، وكأنهم نشأوا على ذلك منذ أزمنة طويلة حتى صار ذلك من طباعهم التي لا تتفك عنهم، ثم تأمل تقديم (عنها) على (معرضين)، تجد أن هذا التقديم فيه دلالة على أن هؤلاء المعرضين كانوا يخصون كل آية بإعراض

١. الآية : ٤٦ .

٢. التحرير والتنوير : ١٣٤/٧ .

٣. إرشاد العقل السليم: ١٠٩ / ٣ .

ويتفنونون في أسباب التكذيب، فإذا جاءتهم الآية أخذوا يتحججون ويتنطعون بالأكاذيب الواهية والحجج الباطلة، فإذا تلتها آية أخرى خصوها بإعراض جديد وحجج لا تنقطع، حتى إنك لا تجد آية قد سلمت من حججهم ولا إنكارهم، وهذا أدخل في باب التكذيب وأشد في العناد وأبلغ في الإنكار، وعلى هذا يكون تقديم الجار هنا قد أتى متناغما مع التأكيد والاستغراق الموجود في صدر الآية، ويتناسب مع الاستثناء وما دل عليه من أنهم لم يكن لهم حال إلا الإعراض يتفنونون فيه ويصرون عليه، وتأمل التعبير بصيغة اسم الفاعل في قوله: (معرضون)؛ "الدلالة على أن هذا الإعراض متحقق من دلالة فعل الكون، ومتجدد من دلالة صيغة اسم الفاعل؛ لأن المشتقات في قوة الفعل المضارع"<sup>(١)</sup> وبهذا فإن الآية الكريمة بما اشتملت عليه من بناء معجز، أفادت أن الإعراض عن الحق هو دأبهم، وأنهم ليسوا على استعداد لتقبل الحق مهما اتضحت معالمه، وكثرت دلالاته وأسفرت حججه، وقد أدى تقديم الجار والمجرور في الفاصلة دورا كبيرا في بيان تلك الدلالة وهذا المعنى.

٤ - يقول الله - تعالى - : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة يونس: ١٩)

ذهب الإمام الطاهر إلى أن: "تقديم المجرور في قوله -تعالى-: ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ للرعاية على الفاصلة"<sup>(٢)</sup>، والناظر إلى مناسبة هذه الآية لما قبلها، وعطفها عليها، يجد أن النظم الحكيم" لما أقام الدلالة القاهرة على فساد القول بعبادة الأصنام"<sup>(٣)</sup>، بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد، والمقالة

١. التحرير والتنوير: ١٣٥/٧

٢. السابق: ١١/ ١٢٩.

٣. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ...﴾ سورة يونس من الآية: ١٨.



الباطلة<sup>(١)</sup> بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ - بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وفيها بيان لـ"جناية هؤلاء المشركين على الإنسانية، وأنهم هم الذاء الذي تسلط على الإنسانية قديماً وحديثاً، فأدخل على كيانها هذا الفساد"<sup>(٢)</sup>، كما أن هذه الآية قد تضمنت " الوعيد الشديد على الاختلاف المؤدي إلى التفرقة في الدين، وإلى الشقاق والنزاع"<sup>(٣)</sup>؛ لهذه كان من براعة النظم وحسن بلاغته التأكيد على إظهار السبب الذي هو أصل اختلاف بني البشر وأساس تفرقهم، وهو مناط الوعيد الذي تضمنه السياق؛ لذا أتى النظم بالجار والمجرور (فيه)، وجعله مقدماً على الفعل (يختلفون)؛ للعناية والاهتمام به، والتأكيد على السبب الذي أحدث الفرقة، والذي هو مناط القضاء، فأوقع ذكر الجار والمجرور في سمع المتلقي ابتداءً، ومن أول الأمر؛ حتى لا يستشعر المتلقي أن سبب الإفساد هو مطلق الاختلاف، وأن الوعيد موجه له، فلما أتى بالجار والمجرور مقدماً أكد على أن الذي جعل الاختلاف محل ذم ووعيد إنما هو طبيعة ما اختلفوا فيه، ألا وهو الدين والعقيدة، وبهذا فقد أدت الفاصلة بما اشتملت عليه من تقديم وتأخير دوراً كبيراً ومهماً في الدلالة على المعنى المراد حتى إنه لو أتت الفاصلة على الترتيب المعهود لنقص المعنى وغاب المقصود.

٥ - يقول الله - تعالى :- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة النحل، الآية ٣٤).

١. مفاتيح الغيب ١٧/٢٢٨.

٢. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ): ٦/٩٧٦، دار الفكر العربي - القاهرة.

٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: (٤٥/٧) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، ١٩٩٨م

يقول الإمام الطاهر: "وقدم المجرور على عامل موصوفه للرعاية على الفاصلة"<sup>(١)</sup>، ومن يتتبع تلك الفاصلة يجد أنها تكررت في عشرة مواضع<sup>(٢)</sup>، كلها تقع في باب وعيد الكفار بعذاب الله، والزجر على أفعالهم، والمتأمل للآية الكريمة يجد أن بها تهديدا ووعيدا، وقد صاغها النظم الحكيم مكونة من جزئين؛ الجزء الأول: قوله - تعالى - : ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾، والجزء الثاني، قوله - تعالى - ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وبين الجزئين فروق دلالية؛ حيث عبر النظم عن الجزاء في الشطر الأول بقوله: (فَأَصَابَهُمْ)، ثم غاير في الشطر الثاني في التعبير عن الجزاء واستعمل (حَاقَ)، وبين الفعلين فرق في المعنى، ف(حَاقَ) أشد من (أصاب)، وهذا يدل على أن موجب العذاب في الشطر الثاني أشد عن موجب في الشطر الأول، ف"جاء التعبير عن العذاب العام بـ (أصابهم) والتعبير عن عذاب الاستهزاء بـ (حَاقَ)؛ لأن الاستهزاء كفر وزيادة، فناسب الزيادة في الكفر الزيادة في العذاب؛ لأن التعبير بـ (حَاقَ) أفزع من التعبير بـ (أصاب) لأن حَاقَ تعني نزول العذاب وإحاطته بالمعذبين، وليس مجرد الإصابة فقط"<sup>(٣)</sup>، وهذا يرشدنا إلى سر من أسرار النظم في تقديم الجار والمجرور (به) على الفعل (يَسْتَهْزِئُونَ)، وهو العناية بإظهار ما كانوا يستهزئون به، فناسب ذلك إبراز الجار والمجرور مقدما على متعلقه؛ ليدل على مزيد عناية واهتمام، ويسلط الضوء على ما أصروا عليه من استهزاء، خصوصا وأن استهزاءهم به قد أوجب عليهم ارتقاء في العذاب وزيادة في النكاية بهم، فكأن المراد أن هذا الشيء الذي كذبوا به هو بعينه الذي

١. التحرير والتنوير: ١٤ / ١٤٧.

٢- المواضع هي: (سورة الأنعام: ٥ ، ١٠)، (سورة هود: ٨)، (سورة النحل: ٣٤)، (سورة الأنبياء: ٤١)، (سورة الشعراء: ٦)، (سورة الزمر: ٤٨)، (سورة غافر: ٨٣)، (سورة الجاثية: ٣٣)، (سورة الأحقاف: ٢٦).

٣. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح: ٦٩، دار الوضاح، الأردن - عمان.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

يعذبون من أجله، وفي هذا مبالغة في إيقاع العذاب بالمكذابين، ووعيد شديد لهم بأنهم سيلاقون عين ما كانوا يفعلون لكن بنتيجة مؤلمة، وهذا يشير إلى بشاعة فعلهم وإصرارهم على غيهم، ولعل ذلك يظهر في التعبير بقوله: (ما كانوا) الدال على قدم استهزائهم وتوغلهم في هذا الفعل ورسوخ أقدامهم فيه، ثم التعبير بالمضارع (يستهزئون) الذي صور الحدث الماضي وجعله ماثلاً أمام السامع، وكشف عن تجدد فعلهم واستمراره بما دل على إصرارهم، وهذا أوجب لعذابهم، وبهذا فإن التقديم في الفاصلة أدى دوراً في إبراز دلالة التباين بين ما وقع منهم من أفعال متغايرة، ونبه على سبب من أسباب تغاير العذاب.

٦- يقول الله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (سورة النحل الآية : ٧١).

ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن: "تقديم "بِنِعْمَةِ اللَّهِ" على متعلقه وهو (يَجْحَدُونَ)؛ للرعاية على الفاصلة"<sup>(١)</sup>، ومن يتأمل هذه الآية يجد أنها تتكرر على المشركين اعتقادهم الفاسد الذي جعلهم ينسبون الرزق لغير الله، وهذا يوجب كونهم جاحدين؛ إذ إن الأرزاق من عند الله - ﷻ - لا من عند غيره، وقد صدرت الفاصلة بهمزة في قوله: (أفبنعمة) وهي من باب الاستفهام المراد به الإنكار والتوبيخ، و"قدم ذكر "نعمة الله" على "يجحدون"؛ وذلك لإبراز أن الإنكار متجه إلى كون الجحود متعلق بنعمة الله، وليس إلى مجرد الجحود فقط"<sup>(٢)</sup> وهذا الأمر لا يتحقق في قولنا في غير التنزيل: "أفيجحدون بنعمة الله" يعني: إنكار الجحود بنعمة الله، بينما قوله - تعالى - : (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) يعني: إنكار الجحود بنعمة الله، ويعني شيئاً آخر، وهو: أن نعمة الله دون غيرها من الأشياء ليست محل جحود بحال من الأحوال، ولا يتصور أن يكون

١. التحرير والتنوير: ١٤ / ٢١٧.

٢. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: ١٤٣.

الجحود بنعمة الله بشكل خاص، فكيف يجحد هؤلاء بنعمة الله، وذلك بإشراكهم مع الله - سبحانه - وهذا ما يعنيه تقديم "نعمة الله" على "يجحدون"، فالاستنكار منصب على كون الجحود متجها إلى نعمة الله التي لا يتصور إنكارها، لا إلى مجرد الجحود فقط<sup>(١)</sup>.

كما أن تقديم (بنعمة الله) على (يجحدون) فيه إبراز وتأکید على إظهار نعمة الله للسامع في موضع متقدم على متعلقها (يجحدون)، وكأن النظم يريد أن يعطي هذا التركيب مزيد عناية ورعاية واهتمام؛ حتى يقرع آذان الجاحدين وينبههم ابتداء أن كل هذه النعم هي من عند الله، وليس لأحد من خلقه فيها نصيب، فيكون أشد في الزجر والتوبيخ، وناسب ذلك أن يعبر بالفعل (يجحدون) بالتحتيية التفات من الخطاب إلى الغيبة، ونكته أنهم لما كان المقصود من الاستدلال المشركين فكانوا موضع التوبيخ ناسب أن يعرض عن خطابهم، وينالهم المقصود من التوبيخ بالتعريض<sup>(٢)</sup>، كما ناسب هذا التوبيخ تعديّة الفعل (يجحدون) بالباء مع أنه يتعدى بنفسه؛ ليوسع في دلالة المعنى ويزيد هؤلاء الموبخين توبيخا على توبيخهم، فجمع لهم بين مذمة الكفر والجحود في آن واحد؛ لأنه لما تعدى بالباء تضمن "الجحود معنى الكفر"<sup>(٣)</sup>.

٧. يقول الله - تعالى -: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (سورة طه: ٧٠)

يقول الطاهر ابن عاشور: "وجه تقديم هارون هنا الرعاية على الفاصلة"<sup>(٤)</sup>، ومع أن القول برعاية الفاصلة في هذه الآية تردد عند عدد من

١. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: ١٤٣.

٢. التحرير والتنوير: ٢١٦ / ١٤.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ): ٣ /

٢٣٤ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:

الأولى - ١٤١٨ هـ.

٤. التحرير والتنوير: ٢١٦ / ١٦.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

العلماء إلا أنه لا يمكن الوقوف عند هذا القول؛ لهذا فقد أورد العلماء عدداً من التعليقات، من ذلك ما ذكره الإمام الباقلاني من أن "إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتبين فيه البلاغة"<sup>(١)</sup>، فهو يرى أن تغيير التعابير بالتقديم والتأخير في القصة الواحدة مع أداء نفس المعنى من مراتب البلاغة العالية، ويرى عدد من المفسرين أن تقديم (هارون) لكبير سنه، أو لدفع وهم أن يكون المقصود برب موسى لو قدم هو فرعون؛ لأن فرعون ربي موسى في صغره، فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون<sup>(٢)</sup>، ولكن هذه الأمور لا تكشف عن سر اختصاص تقديم هارون على موسى في سورة طه دون الأعراف والشعراء، وبالتأمل في السياق الذي وردت فيه الآية تجد أن سياق هذه السورة مقتضياً لتقديم هارون - عليه السلام -، يقول الإمام البقاعي: "وقد علم مما ذكرته أن المعنى الذي بنيت عليه السورة ما كان ينتظم إلا بتقديم هارون"<sup>(٣)</sup>، وقد لمح شيخ البلاغيين الدكتور محمد أبو موسى ملمحاً بديعاً يكشف عن سر من أسرار تقديم هارون في السياق على موسى -عليهما السلام -، فيعلل سبب بدء السحرة بمن ليس أفضل بأنه "دال على إظهار قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها؛ وذلك لأن الآية لم تظهر على يد هارون، ولم يكن هو الغالب، وليس في تقديم موسى الذي لقت عصاه ما صنعوا شيء يلفت؛ لأنه هو الأصل، أما تقديم من لا دخل له في المعجزة التي عليها

١. إعجاز القرآن: ٦١

٢. من هؤلاء الإمام أبي السعود، يراجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ): ٦ / ٢٨، دار إحياء التراث العربي - بيروت، و منهم الإمام البيضاوي يراجع أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ /

آمنوا فهو الأمر اللافت؛ لأنه جاء على خلاف الأصل<sup>(١)</sup>، كما أن المراجع لسياق سورة طه يجد أن تقديم هارون أتى لإبراز العناية والاهتمام بدور هارون في سورة طه، وهذا ما يفصح عنه السياق؛ حيث جاء في دعاء موسى - ﷺ - : ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (سورة طه الآية: ٢٩)، فتقديم هارون في سورة طه جاء إبرازاً لدوره ومشاركته في الأحداث، كما أن السياق في سورة (طه) بنى النظم فيه على التثنية، وهذا يظهر جليا في قوله - تعالى - : ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (سورة طه الآية: ٤٢)، حتى يصل السياق إلى قوله - تعالى - : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ (سورة طه من الآية: ٤٧)، وتأمل قوله - تعالى - في سورة طه: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٢) ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (سورة طه الآيتان: ٤٢، ٤٣) فتكليف هارون - ﷺ - لم يكن بطلب من موسى - ﷺ - بل أتى ابتداء من عند الله، وهذا يظهر أن هارون - ﷺ - سيكون له شأن في هذه السورة، ودور كبير في أحداثها؛ لهذا امتدت الأحداث حتى وصلت إلى حيث كان لهارون دور بارز تمثل في خلافته موسى - ﷺ - في قومه عندما ذهب لميقات ربه، ثم ما حدث معه وبني إسرائيل من حادثة اتخاذ العجل، ونصيحته لهم، ثم عتاب موسى له بعد عودته وما حدث بينهما من حوار؛ لهذا كان من المناسب أن يتقدم هارون - ﷺ -؛ ليشير إلى دوره ويركز على مشاركته في الأحداث؛ وعليه فإن هذا التقديم استطاع أن يشير من طرف خفي إلى التأكيد على دور هارون - ﷺ - في تلك الأحداث بإيجاز بديع وترتيب بليغ، وكأنه بذلك يقطع يقينا بما ألح عليه السياق وقصدت إلى إظهاره آيات تلك السورة الكريمة، وقد لمح الأستاذ فضل عباس ملمحا عجيبا يعد منهجا قرآنيا فريدا كشف عنه تقديم هارون على موسى - عليهما السلام -

١- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د محمد أبو موسى: ١٩٩، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م .

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجا

في هذا السياق، فيقول: "سورة طه هي السورة الوحيدة التي حدثتنا عما حصل لموسى - عليه السلام - من خوف مما فعله السحرة، وكان حريا به أن لا يكون منه ذلك، فهارون أولى منه؛ لأنه لم يشاهد ما شاهده موسى، ولم يشرف بمنجاة الحق. قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ (طه: ٦٧) فكان حريا به أن يكون رابط الجأش، ثابت الجنان، من أجل ذلك يلوح لي أن هارون - عليه السلام - قُدم في هذه السورة، وهي قيمة قرآنية عظيمة حري بنا أن نقف عندها، ونتدبرها، وهي تقدير كل عامل بعمله"<sup>(١)</sup>.

٨. يقول الله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ (سورة الشعراء، الآية: ٥٥)

يقول الإمام ابن عاشور: "وتقديم (لنا) على (لغائظون) للرعاية على الفاصلة"<sup>(٢)</sup>، والناظر لهذه الآية الكريمة يجد أنها حكاية عن قول فرعون وهو يحدث أتباعه ويحثهم على الانتقام ممن آمن بموسى - عليه السلام - ويطلب منهم اللحاق بهم للقضاء عليهم، وقد كشف النظم الحكيم عما أصابه من فعل تلك الفئة المؤمنة وما نزل به من أقوالهم له وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ فأتى الكلام مؤكدا بعدة مؤكدات، منها: (إن)، ولام التقوية في (لنا)، ولام الابتداء في (لغائظون)، وصياغة الكلام في صورة الجملة الاسمية، والتعبير بلفظة (غائظ) اسم فاعل التي أفادت التوكيد بمبناها ومعناها فهي اسم فاعل من غاظ، والغيبز أشد من الغضب<sup>(٣)</sup>، كل هذا يحمل قدرا كبيرا من تأكيد الخبر المذكور، ويدل على مقدار الغيبز الذي نزل بفرعون ومن معه، وقدم الجار والمجرور " (لنا) للحصر"<sup>(٤)</sup>؛ وذلك لأنهم خرجوا عن عبادة فرعون

١. المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز، فضل عباس: (٤٥)، دراسات - العلوم الانسانية والتراث، الجامعة الأردنية - عمادة البحث العلمي، مجلد (١١) العدد (٤)، الأردن، ١٩٨٤ م .

٢. التحرير والتنوير: ١٩ / ١٣١.

٣. لسان العرب، مادة: ( غ ي ظ ) .

٤. روح المعاني: ١٠ / ٨١.

خاصة، وأعلنوا إيمانهم برب العالمين، وتبرأوا من عبادة فرعون لا من عبادة غيره، فكان الغيظ لفرعون خاصة ومن معه بالتبعية.

كما أن تقديم الجار والمجرور في الفاصلة يؤدي دورا كبيرا في تصور الحالة النفسية التي عليها فرعون، ويكشف لك أن القضية أصبحت قضية شخصية، فهو يخشى على ملكه، ويخاف أن ينصرف الناس عن عبادته، فصور لنا النظم القرآني البديع (الغيظ) وكأنه اجتمع ونزل به هو حتى ثارت حميته وانفجر بركان غضبه، فأخذ يحشد جنده في (المدائن)، أي: في كل مدائنه؛ ليحشدوا الناس لملاحقة موسى - عليه السلام - ومن معه، وهذه الأمور التي تراها وتستشعرها في الدلالة لم تكن لتظهر إلا بإبراز الضمير (لنا) مقدما في الفاصلة.

٩. يقول الله - تعالى -: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (سورة القصص الآية: ٢٠).

ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن: "تقديم المجرور للرعاية على الفاصلة"<sup>(١)</sup>، إلا أن المتأمل يجد أن النظم قد قدم الجار والمجرور لأسباب أخرى كشف عنها السياق، فالنظم يحكي مشهدا لرجل أتى مسرعا إلى موسى - عليه السلام -؛ ليخبره أن أناسا من أولى الأمر وأصحاب الشأن يتشاورون فيما بينهم لقتله، ثم أمره على سبيل النصح بالخروج من المدينة، ولعل الرجل لاحظ على ملامح موسى - عليه السلام - مخائل التردد في صدقه، ووجد منه إنكار أمر القتل؛ لأنه هو من تربي وليدا في كنف فرعون، ولبث سنينا من عمره في بيته، فمن يجرؤ على قتله؛ لهذا أسرع الرجل في تأكيد الحال الذي أتى بها وهو أنه لموسى من الناصحين، يقول الإمام البقاعي: "ثم علل ذلك بقوله على سبيل

١. التحرير والتنوير: ٢٠ / ٩٦ .



التأكيد؛ ليزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزاً عند الملك<sup>(١)</sup>، وأتى التأكيد ب(إِنَّ) و (اللَّام) و تقديم (لك) على متعلقه الدال على الحصر، كل هذا في محاولة منه لإزالة الريب من نفس موسى - ﷺ - وتأكيد على نصحه له، وتحريض قوي لموسى على الفرار مما كيد له، ومن ثم كان لتقديم الجار والمجرور: {إني لك} أي: خاصة<sup>(٢)</sup> دلالة كبيرة على إبراز إخلاص هذا الناصح لموسى، وكأنه أوقف إخلاصه على موسى خاصة دون غيره؛ لشدة خوفه عليه وحبه له وإعجابه به، وهذا أجدر بتحقيق ما سعى إليه، وهو استجابته لنصحه وخروجه من مصر، وقد أثر ذلك في موسى - ﷺ - فاستجاب لنصح الرجل وخرج من مصر.

١٠ - يقول الله - تعالى -: ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا

أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (سورة القصص، الآية: ٣٩)

ذهب ابن عاشور إلى أن: "تقديم (إلينا) على عامله لأجل الفاصلة"<sup>(٣)</sup>، والناظر في الآيات يجد أن السياق قد كشف عن كفرهم بالله وعدم اعترافهم بوجوده؛ وذلك في حكاية النظم على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (سورة القصص، من الآية: ٣٨)، وعليه يكون قوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ "معلوم بالفحوى من كفرهم بالله، وإنما صرح به لأهمية إبطاله، فلا يكتفى فيه بدلالة مفهوم الفحوى"<sup>(٤)</sup>، ومن هنا فإن النظم يؤكد على إنكارهم وجود الله وإنكارهم الرجوع إليه؛ وقد أدت الفاصلة دوراً كبيراً في بيان تلك الأهمية والتأكيد عليها بما اشتملت عليه من تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ والذي أفاد

١. نظم الدرر : ١٤ / ٢٦٢.

٢. السابق : ١٤ / ٢٦٢.

٣. التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٢٤ .

٤. السابق : ٢٠ / ١٢٤ .

الاختصاص ليكون المعنى "أي إلى حكمننا خاصة"<sup>(١)</sup>، كما أن التعبير بالجار والمجرور (إلينا) بلفظ الجمع مقدا فيه رد على فعلهم الذي حكاه القرآن عنهم في قوله: ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فأوقع ضمير الجمع العائد على الله مقدا قبل نفي الرجوع؛ لاستحضار كبرياء الخالق - سبحانه - مما أضفى على السياق عظمة وهيبة كسرت استكبارهم وقضت على ظنهم، وأنذرت بهلاكهم؛ لذا ناسب ذلك أن يذكر ما أنزله الله بهم وذلك في قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص، الآية: ٤٠)؛ وبهذا فإن الفاصلة هنا جاءت في بناء محكم وترتيب بليغ ونمط بديع، فاستطاعت أن تهدم ظنونهم، وأن تقوض بناء استكبارهم وتظهر فساد اعتقادهم، كما أنها كانت حلقة وصل جمع خيوط المعاني قبلها ثم هيات لما بعدها في براعة عالية.

١١. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (سورة السجدة، الآية: ١٠)

يقول الإمام ابن عاشور: "وتقديم المجرور على كافرون للرعاية على الفاصلة"<sup>(٢)</sup>

والمأمل في السياق يرى أنه يتحدث عن مراحل خلق الإنسان وتسويته كاشفا عن جانب من قدرة الله - تعالى - ثم يحكي عن المشركين عنادهم وإصرارهم على إنكار تلك الحقائق الواضحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقد ظهر تعنتهم في تصدير كلامهم بالاستفهام الدال على التعجب في قوله: ﴿أِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ وتكراره في قوله: ﴿أِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهذا يدل على إصرارهم في استبعاد البعث، ثم يظهر القرآن حقيقة إنكارهم وسبب تعنتهم وهو ليس رفضهم لفكرة البعث فهي حقيقة مسلم

١. نظم الدرر: ١٤ / ٢٩٧.

٢. التحرير والتنوير: ٢١ / ٢١٩.

بها و"دلائل إمكانه واضحة لكل متأمل"<sup>(١)</sup>، كما أنهم لو "نظروا إلى ما دعاهم الله ﷻ إليه، من النظر في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾، وفي قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ - لوجدوا أن لا فرق بين هذا التراب الذي جاءوا منه، أو تلك النطفة التي تخلقوا منها، وبين هذا التراب الذي صارت إليه أجسادهم"<sup>(٢)</sup>، لذلك استعمل النظم الحكيم (بل) المفيدة معنى الإضراب، والدالة على أن الباعث الحقيقي على إنكارهم البعث هو كفرهم بقاء الله، وأن التعجب الواقع منهم ليس محط اهتمام لأنه مردود بالبديهة، أما القضية الحقيقية فهي كفرهم بقاء الله؛ لهذا أتى النظم بالجار والمجرور (ببقاء) مقدماً لأنه هو محط الاهتمام، ومحل الرعاية، وصاغ تلك الحقيقة في صورة الجملة الاسمية لإفادة الدوام على كفرهم والثبات عليه.

ويجوز أن يكون: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ إضراباً وانتقالاً من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأحوال والأهوال جميعاً"<sup>(٣)</sup>، ويكون تقديم الجار والمجرور لسرعة الوصول إلى ما هو أبلغ وأشنع من تعجبهم من البعث، وكأنه لما ذكر الإضراب ب(بل) بعد هذا الموقف، تشوقت الأسماع لمعرفة حالهم وبيان ما هو أشد فأتى بقوله: ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ مقدماً على (كافرون).

١٢. يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٧﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ (سورة فاطر ، ١٩ : ٢٠)

يقول الإمام ابن عاشور: "وقدّم في هذه الفقرة ما هو من حال المؤمنين على عكس الفقرات الثلاث التي قبلها لأجل الرعاية على الفاصلة بكلمة

١. السابق: ٢١ / ٢١٩.

٢. التفسير القرآني للقرآن: ١١ / ٦١٣.

٣. إرشاد العقل السليم: ٧ / ٨٢.

الْحَرُورُ" <sup>(١)</sup>، وللإمام فخر الدين الرازي رأي يرد على أن التقديم والتأخير هنا إنما هو لرعاية الفاصلة، حيث يقول: "قدم الأشرف في مثلين وهو (الظل والحرور)، وأخره في مثلين وهو (البصر والنور)، وفي مثل هذا يقول المفسرون: إنه لتواخي أواخر الآي، وهو ضعيف؛ لأن تواخي الأواخر راجع إلى السجع، ومعجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ، فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع، فيكون اللفظ حاملاً له على تغيير المعنى، وأما القرآن فحكمة بالغة، والمعنى فيه صحيح، واللفظ فصيح فلا يقدم ولا يؤخر اللفظ بلا معنى" <sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على أن الإمام فخر الدين الرازي يرفض أن نعلل لتقديم لفظ أو تأخيره على غيره في القرآن على مجرد رعاية الفاصلة دون الوقوف على سبب يرجع للمعنى، وهذا جعله يبحث في تقديم (الظل) على (الحرور)، معللاً ذلك بأن "الكفار قبل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كانوا في ضلالة، فكانوا كالعمي وطريقهم كالظلة، ثم لما جاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبين الحق، واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقتهم كالنور فقال: وما يستوي من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده إلى الإيمان، فلما كان الكفر قبل الإيمان في زمان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، والكافر قبل المؤمن قدم المقدم، ثم لما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله في الإلهيات: سبقت رحمتي غضبي" <sup>(٣)</sup>

وقد علل صلاح الدين الصفدي لهذا التقديم بقوله: "لما ضرب المثل للمؤمن والكافر بالأعمى والبصير، وأكد ذلك بالظلمات والنور، لأنهما أمس بالأعمى والبصير من الظل والحرور، ومن الحياة ومن الموت، انتقل بعد ذلك إلى بيان حاليهما؛ فقال: إن حاليهما متباينان، فأتى به على القاعدة في تقديم الأشرف على الأخس؛ فقدم الظل على الحر، والحياة على الموت، ومن قال:

١. التحرير والتنوير: ٢٢ / ٢٩٣.

٢. مفاتيح الغيب: ٢٦ / ٢٣٢.

٣. السابق: ٢٦ / ٢٣٢.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

إنما أتى بذلك طلباً للمناسبة بين رؤوس الآي، ليناسب بين البصير والنور والحرور فليس في شيء، والذي ذكرته أدخل في أقسام البلاغة وأثبت على محل الإعجاز<sup>(١)</sup>.

كما أن الترتيب الوارد في الآية فيه تناسب بين المعاني من جانب آخر، وهو أن (العمى، والظلمات، والظل) تشترك جميعها في الظلمة، أما (البصر، والنور، والحرور) فجميعاً تشترك في النور، كما أن تقديم الظل على الحرور أحدث في الآية ترقياً عجبياً، وجعل النظم يتماسك تماسكاً بديعاً مع قوله - تعالى -: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

فتأمل هذه الأشباه وكيف وزعت في السياق لتأتي على هذا النحو:

الأحياء	وما يستوي	الظل	الظلمات	الأعمى	وما يستوي
الأموات		الحرور	النور	البصير	

فجمع في الطرف الأول: (الأعمى، والظلمات، والظل)، ثم (الأحياء)، أما الطرف الثاني فجمع (البصير، والنور، والحرور) ثم (الأموات) ومن يتأمل في ترتيب كلمات الطرف الأول يجد أن فيها ترقياً محسوساً بدأ بالظلام الدامس وانتهى بالنور الذي يحيا به الإنسان فبدأ بالعمى وهو أصل الظلام ومنتهاه، ثم الظلمات وهي أقل حالا من العمى؛ إذ يرجى معها إدراك، ثم الظل، وهي حال يختلط فيه الظلام والنور، ثم ختم بالأحياء، ومن يتأمل في كلمات الطرف الثاني يجد العكس واضحاً؛ حيث بدأ بالبصيرة وهي تمام الرؤية والإدراك، ثم النور وهو أقل من البصير، ثم الحرور وهي أقل من النور، ثم جاء الختام بـ(الأموات)، وكأن النظم بهذا الترتيب البديع يمهّد للحقيقة الواقعة في قوله -

١- نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفي (المتوفى:

٢٤هـ: ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

تعالى:- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ \* إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي إن تحول بني البشر من حال إلى حال هو من تصاريف الله وأفعاله لا من شأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقد ترى حال الإنسان في مقبل حياته ضالا ثم يتبدل بإرادة الله إلى مؤمن ذي قلب حي، وقد تجد الإنسان مثلنسا بالهداية إلا أن حاله يتبدل؛ فيسلك طريق الضلال حتى يموت قلبه، كل ذلك بتدبير الله وحده، وقد ساعد تقديم الظل على الحرور في استقامة ترتيب الألفاظ؛ لتؤدي هذه المعاني وتشارك في الارتقاء الموجود في تشبيه الحاليين .

١٣- يقول الله - تعالى :- ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة ياسين الآية : ٣١).

يقول الإمام ابن عاشور: "(إليه) متعلق بـ (يرجعون) وتقديمه على متعلقه للرعاية على الفاصلة<sup>(١)</sup>، والنظم هنا يتحدث عن المكذبين للرسل المستهزئين بهم، حيث يوجه إليهم التوبيخ لتكذيبهم الرسل مع وجود ما يزرهم عن ذلك الفعل وهو ما حدث لمن كانوا قبلهم ممن كذبوا الرسل، وصدر النظم الآية باستفهام يحتمل الإنكار والإقرار"<sup>(٢)</sup> أما كونه للإنكار فالغرض منه إنكار عدم علمهم أمر إهلاك من قبلهم مع أن ذلك من الأمور المعلومة والمشهورة، وأما كونه للتقرير فالغرض منه حثهم على الإقرار بعلمهم لما حدث لمن قبلهم من المكذبين، وعبر بفعل الرؤية؛ ليدل على أن هذا الأمر شاع واشتهر حتى أصبح معلوما علما يقينيا فصار في حكم المشاهدة والعيان، وأتى بقوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ "بدل اشتمال من جملة (أهلكنا)؛ لأن الإهلاك يشتمل على عدم الرجوع... وفائدة هذا البديل تقرير تصوير الإهلاك لزيادة التخويف، ولاستحضار تلك الصورة في الإهلاك، أي إهلاكا لا طماعية معه

١. التحرير والتنوير: ١١/٢٣.

٢. السابق: ١٠/٢٣.

للرجوع إلى الدنيا"<sup>(١)</sup>، وهذا أشد في زجرهم وتخويفهم لعلهم يدركون خطر فعلهم فيستدركون أمرهم قبل فوات الفرصة عليهم، كما حدث مع من قبلهم، وناسب هذا الزجر وذاك التخويف تقديم (إِلَيْهِمْ) على (يرجعون)؛ لدلالة التقديم على "الحصر، أي إنهم لا يرجعون إليهم، بل إلينا؛ فيكون ما بعده مؤكداً له"<sup>(٢)</sup>، أي قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون الضمير في (إليهم) عائد على (رسول) في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾؛ لأنه "لما كان المراد من رسول ليس واحداً بعينه، وكانت صيغة فاعول كفعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع، أعاد الضمير للجمع فقال: (إليهم) أي إلى الرسل خاصة من حيث كونهم رسلاً"<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا يفيد التقديم - أيضاً - الاختصاص من جهة الرسل، وفيه حث - أيضاً - على اتباع الرسول وإطاعتهم قبل أن ينزل بهم الهلاك فيصبح رجوعهم لرسولهم بغية الإيمان بهم أمراً غير ممكن، وبهذا فإن الفاصلة بما اشتملت عليه من تقديم أدت دوراً دلالياً كبيراً تمثل في تنبيههم إلى حقائق قد يتغافلون عنها، فيستدركوا أمرهم قبل أن يحل بهم ما حل بغيرهم، وبهذا فقد اشتملت على ما تضمنه السياق ودل عليه.

١٤ - يقول الله - تعالى -: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (سورة الرحمن الآية:

٥٢)

يقول ابن عاشور: "﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ بيان لـ (زَوْجَانِ) مقدم على المبين لرعي الفاصلة"<sup>(٤)</sup>، والسياق هنا يصف نعيماً أعده الله لعباده الذين حققوا أعلى مراتب العبادة في الدنيا وخافوا مقام ربهم فأعد الله لهم نعيماً عالياً، وقد بدأ السياق

١. التحرير والتنوير: ١٠ / ٢٣.

٢. روح المعاني ٧ / ١٢.

٣. نظم الدرر: ١١٩ / ١٦.

٤. التحرير والتنوير: ٢٧ / ٢٦٧.

الحديث بقوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ وهذه البداية لها أهميتها الجمالية الممتعة ودلالاتها الفكرية من حيث إنها تجعل الفكر يتيقن أنه أمام جزء من نوع خاص؛ لأنه مترتب عن الخوف من الله، الذي لا يتحقق إلا باتباع أوامر الله واجتتاب نواهيه على النحو الذي يترتب عليه الظفر بمكافأة تتناسب مع هذا المقام؛ لذا جمع لهاتين الجنتين من الأوصاف ما يجعلهما أعلى منزلة من الجنتين المذكورتين في قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾؛ لذلك جاء التعبير القرآني كاشفاً عن جمال الجنتين اللتين أعهدهما الله لمن خافوا مقامه، ومن الآيات التي وردت في سياق وصف تلك الجنتين قوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وحتى تتناسب تراكيب الآية ونظمها مع تلك المنزلة العالية فقد قدم النظم قوله: ﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ على (زوجان)؛ لأن (من كل فاكهة) تدل على الشمول والإحاطة الدال على تمام النعيم، فمن كمال النعيم أن يكون في الجنتين من كل الفاكهة؛ لهذا بدأ الآية بقوله: (فيهما) ليفتح الأذهان ويشوق الأسماع شوقاً لمعرفة ما فيهما، فيأتي قوله: ﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، ليملاً النفس سرورا وبهجة بكمال النعيم، ثم يكمل النعيم بقوله: (زوجان) أي: يوجد بها كل أنواع الفاكهة، ومن كل نوع يوجد منه صنفان، وعلى هذا فإن التقديم هنا قد تخطى حاجز رعاية الفاصلة ليلقي بظلاله على معان جمالية تكشف عن جانب من جوانب الإبداع في النظم القرآن.

١٥- يقول الله - تعالى -: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، (سورة الغاشية، الآية :

(٢٢)

يقول الإمام الطاهر: "وتقديم (عَلَيْهِمْ) على متعلقه، وهو «بِمُصَيِّرٍ» للرعاية على الفاصلة"<sup>(١)</sup>، والناظر إلى السياق يجد أن فيه توبيخاً للمشركين الذين أعرضوا عن دين الله، فزاعت أبصارهم عن دلائل قدرته التي ملأت الآفاق، الأمر الذي أوجد حزناً في صدر النبي - ﷺ - ، فجاء القرآن ليسلي

١. التحرير والتنوير: ٣٠٠/٣٠٧



النبي - ﷺ - ويرفع عنه حرجه، فقال مبينا ما عليه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾<sup>(١)</sup> والأمر في (فذكر) "مستعمل في طلب الاستمرار والدوام"<sup>(١)</sup>: أي داوم على دعوتك لهم واستمر على ما أنت عليه، فما عليك إلا البلاغ، والقصر المستفاد بـ (إنما) في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ قصر حقيقي ادعائي، أي: إن مهمتك مع هؤلاء المعاندين هي البلاغ لا غير، وذلك على سبيل المبالغة والاهتمام بهذا الأمر ونفي ما عداه مما شغل به النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أتى بقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، وكأن النبي ود أن لو تسلط عليهم حتى يدفعهم للإيمان دفعا؛ حرصا منه على هدايتهم، إلا أن النظم الحكيم أكد أن مهمة النبي مقتصرة على البلاغ، ولا تتعداه إلى غيره كالتسلط، فأتى بقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ تأكيدا لما سبق وبيانا بأنه لا تبعة عليه من إعراضهم، إلا أن تقديم (عليهم) أفاد أن هذا الحكم خاص بمن حضروا نزول هذه الآية مكانا وزمانا، أما غيرهم فإن الله قد يسلط رسوله عليهم؛ لهذا يقول الإمام البقاعي: "وأشار إلى القهر بأداة الاستعلاء فقال: {عليهم} أي: خاصة {بمصيطر} أي: بمتسلط، وأما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب"<sup>(٢)</sup> وهذا أنسب للتسلية وأرفع للحرج عن رسول الله - ﷺ، وفيها إخبار بما سيكون في المستقبل من إباحة القتال.

١. التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٠٦.

٢. نظم الدرر: ١٩ / ٢٢.

## المبحث الثاني

### الحذف في الفاصلة بين الإعجاز والرعاية

من الظواهر الأسلوبية التي كثرت في الفواصل القرآنية ظاهرة الحذف، ومعلوم أن القرآن إذا حذف شيئاً فإنما يكون ذلك لدلالة وسر، حتى إنك لتجد لهذا الحذف فيضا من المعاني لا تتأتى مع الذكر، وقد أوضح الإمام عبد القاهر جمال الحذف في الكلام البليغ بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"<sup>(١)</sup>، وعليه فإن القول بأن الحذف في الفاصلة إنما هو لرعاية الفاصلة قول يحتاج إلى مراجعة، وللإمام الطاهر بن عاشور مواضع أرجع فيها الحذف لمجرد الرعاية وهي:

١. يقول الله - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (سورة

البقرة: من الآية: ٤٠)

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: "كلمة (فارهبون) كتبت في المصحف الإمام بدون ياء ... ووجه ذلك أنها وقعت فاصلة"<sup>(٢)</sup> وعلق في موضع آخر قائلاً: "وحذفت ياء المتكلم من (يَقْتُلُونَ) للرعاية على الفاصلة، كما تقدم في قوله -تعالى-: (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) في سورة البقرة"<sup>(٣)</sup>، ومع أن هذا الحذف له دور في توافق الفواصل؛ حيث أدى دوراً قوياً في البناء الصوتي للفاصلة وأحدث توافقاً بينها وبين ما جاورها من فواصل في إمكانية الوقوف على آخر الفاصلة بالسكون مما يحقق الانسجام الصوتي في السياق، وهذا بلا شك له أثر واضح في النفوس، ووقع على الأسماع، وجذب للأفهام، وهذا لون من

١. دلائل الإعجاز، ١٤٦.

٢. التحرير والتنوير: ١/ ٤٥٧.

٣. السابق: ١٩/ ١٠٨.

ألوان بلاغة القرآن، إلا أن الوقوف على ذلك فيه إجحاف بتلك البلاغة العالية، لهذا كان لابد من النظر في السياق للوقوف على ما أحدثه هذا الحذف في جانب المعنى، وأول ما يطالعنا هو أن (الياء) حذفت هنا لتوفير العناية بالمعنى، والمعنى في الآية هو (الرهبنة) أي: أن القرآن ركز على تحقيق معنى الرهبنة فجردها من الزوائد؛ لئلا ينشغل الذهن ولو برهنة من الزمن<sup>(١)</sup>، كما أن الحذف فيه تناسب مع دلالة المعنى المراد؛ إذ إن الرهبنة تشتمل على معنى الخوف والخشية<sup>(٢)</sup>، فهي من الأعمال غير الظاهرة، فناسبها إخفاء (الياء)، يقول أبو العباس: "الياء الناقصة في الخط ضربان: ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة، وضرب محذوف فيهما، فالأول: هو باعتبار ملكوتي باطن، وينقسم قسمين: ما هو ضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة... ثم ساق أمثلة لحذف ياء المتكلم تدل على أن الفعل إذا كان أمراً غيبياً حذفت منه (الياء)؛ فيقول: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (سورة هود من الآية: ٤٦) وعلم هذا المسئول غيب ملكوتي بدليل قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فهو بخلاف قوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الكهف من الآية: ٧٠)؛ لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار<sup>(٣)</sup>، وقيل: "إن حذف ياء التحول يفيد دائماً الاستمرار...، وقوله: فارهبون) : ذكرت مرتين، وحذفت الياء فيهما؛ علامة

١- يراجع الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، د/

سامح القليني: ١/ ١٦٣، مكتبة وهبة، الطبعة الخامسة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣ م.

٢. لسان العرب، مادة: ( ر ه ب).

٣- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي

المعروف بابن البناء المراكشي (المتوفى: ٧٢١هـ): ٩٤: ٩٣، تحقيق: هند شلبي، دار

الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٩٠ م.

للديمومة والاستمرار في هذا الطلب<sup>(١)</sup>، وقيل: إن حذف ياء الضمير من آخر الكلمة يوحي بالسرعة المطلوبة أو العجلة في الأمر<sup>(٢)</sup>، وهذا يتناسب مع الدلالة المستفادة من فعل الأمر، (ارهبون) ودخول حرف (الفاء) الدال على السرعة.

٢. يقول الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام من الآية: ٧٨)

يقول الإمام ابن عاشور: "والأظهر أن (ما) في قوله: (مِمَّا تُشْرِكُونَ) موصولة، وأن العائد محذوف لأجل الفاصلة"<sup>(٣)</sup>، والمتأمل لهذه الفاصلة يجد أنها أتت في سياق مجادلة إبراهيم - عليه السلام - لقومه وصبره على مجادلتهم لهدم معتقداتهم الباطلة، وقد تدرج في هدم هذه المعتقدات التي ترسخت في أذهانهم، فأخذ على سبيل الفرض وإرخاء العنان مجارة عباد الأصنام والكواكب ليكر عليه بالإبطال، ولما وصل به الحال إلى نهاية المطاف فقد عبر بما يأتي على كل أوثانهم وكل ما يعبدونه من دون الله؛ فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ حيث استعمل أسلوب النداء الذي قصد به شد انتباههم وشحذ عقولهم لما سيلقيه على مسامعهم، ثم يأتي بالكلام مؤكدا بـ(إني)؛ ليكون أوقع على نفوس السامعين وأشد تأثيراً، فهذه هي المرحلة الأخيرة التي يرجى معها هدم كل معتقدات قومه الفاسدة؛ لهذا قال: (بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) حاذفاً العائد، أي: تشركون به، أو تشركونه، وفي هذا دلالة على الشمول والعموم وإطلاق للعنان، حتى تشمل براءته كل الأوثان، والأنداد، والكواكب، والأصنام، وكل ما أشرك به وعبده مع الله من هذه المعبودات التي جعلوها أرباباً وآلهة مع الله - تعالى -.

١. ملنقى أهل اللغة: لعبد المجيد العزائلي وآخرين: ١٠ / ٩٠٤، منشور إلكترونيا عام

٢٠١٤ هـ، ٢٠١٤ م

٢. إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول: ١٢٤، دار السلام .

٣. التحرير والتنوير: ٧ / ٣٢٣.

٣. يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (سورة الشعراء، الآية: ١٤).

يقول الإمام ابن عاشور: "وحذفت ياء المتكلم من (يَقْتُلُونَ) للرعاية على الفاصلة"<sup>(١)</sup>، ومن ينظر إلى السياق يجد أن القرآن الكريم قص على لسان سيدنا موسى - ﷺ - كلاما يكشف عن حالته النفسية، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٧) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْظِلُّ لِسَانِي فَأُرْسِلُ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (سور الشعراء من الآية ١٢ : ١٤)، وهذه الآيات توضح أن موسى - عليه السلام - إنما سيطر عليه الخوف من تكذيبه، فوجد أثر ذلك في صدره ونطقه؛ حيث استشعر ضيقا في الصدر وتعسرا في الكلام، وتلك الأحوال البشرية طالما تنتاب الإنسان إذا ألم به الخوف، فمتى اعتراه ذلك حصل "له انفعال وينشأ عنه انضغاط الأعصاب في الصدر والقلب"<sup>(٢)</sup>، ويتصاعد السياق مع موسى فتجده - ﷺ - يستشعر الخطر الأكبر؛ حيث يصل به الخوف من قومه قمته، فيتوقع منهم القتل، وهنا تتقلص الحروف في فمه، فيأتي النظم الحكيم مصورا تلك الحالة عن طريق حذف (ياء) المتكلم في نهاية كلامه إظهارا لما آل إليه حاله، كما أن حذف (الياء) فيه دلالة على كرهه ذكر الضمير العائد على نفسه في معرض القتل تفاؤلا بعدم وقوعه، وإن وجد في نفسه الخوف من حدوثه؛ لذلك أنهى القرآن الحكاية على لسان موسى عند هذا الحد وأتى بكلام من شأنه أن ينزع الخوف ويعيد الثقة ويلقي الهدوء في الصدر والقلب؛ فيقول - تعالى -: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (سورة الشعراء: الآية: ١٥)، فعبّر بـ (كلا)؛ لزيادة إدخال الطمأنينة على قلب موسى - ﷺ - وإبطالا لما قبلها من مخاوف؛ لهذا عبر بضمير العظمة في قوله: ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا﴾ تأكيدا

١. التحرير والتنوير: ١٩ / ١٠٨.

٢. السابق: ١٩ / ١٠٦.

للطمأنينة، حتى يهدأ موسى - ﷺ - وتطمئن نفسه، كما عبر بـ(مستمعون) وهي أشد مبالغة من (سامعون)؛ لأن أصل الاستماع أنه تكلف السماع، والتكلف كناية عن الاعتناء، فأريد هنا علم خاص بما يجري بينها وبين فرعون وملئه، وهو العلم الذي توافقه العناية واللفظ<sup>(١)</sup>، كل هذا وغيره يؤكد على أن حذف ياء المتكلم إنما قصد به إبراز المعاني لا مجرد رعاية الفاصلة، وإن كانت رعاية الفاصلة لها حظها في التركيب لما تحدثه من وقع على الأسماع واستدعاء للأذهان .

٤. يقول الله - تعالى - : ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٍ﴾ (سورة: ص ، من الآية: ٨ )

يقول ابن عاشور: وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً للفاصلة، وأبقيت الكسرة دليلاً عليها، وهو حذف كثير في الفواصل<sup>(٢)</sup>، ومن يتأمل تلك الفاصلة يجد أنها جاءت رداً على إنكار المشركين لرسالة النبي - ﷺ - ودعوته، وتعليلاً لشك هؤلاء فيما أنزل على رسول الله، حيث أوضحت أن سبب ما هم عليه من إنكار وشك هو تأخر حلول العذاب بهم، وقد بنى النظم تركيب الفاصلة بناءً محكماً قصد به صدع ما تلبسوا به من ضلال وما هاموا فيه من غي، فتجد الفاصلة صدرت بالنفي بـ(لما) دون (لم)؛ لتدل على أن المنفي بها متصل الانتفاء إلى وقت التكلم، بخلاف (لم)، وهذا أمر واقع، فالعذاب لم يكن قد نزل بهم، إلا أن النفي بـ(لما) له هنا وقع في النفس؛ إذ "قد يفهم منه ترقيب حصول المنفي بعد ذلك"<sup>(٣)</sup>؛ ولأن هذا العذاب لم يحل بهم ولم يعاينوه فهو ما زال خفياً عنهم، فقد ناسب ذلك حذف (الياء)، كما أن في حذف (الياء) تخفيفاً للفظ الفاصلة (عذاب)، وهذا التخفيف يتناسب مع سرعة الفعل ونزول العذاب

١. التحرير والتنوير: ١٩ / ١٠٩

٢. السابق: ٢٣ / ٢١٥.

٣. ينظر التحرير والتنوير: ٢٣ / ٢١٥.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

بهم وهذا أُرهب للمخاطبين وأشد في زجرهم وتخويفهم، وأنسب للنفي بـ(لما)؛ إذ إنها أوحى لهم بتقرب حصول هذا الأمر، فدلالة الترقب المستفادة من (لما) حينما خالطت دلالة السرعة المستفادة من حذف (الياء) جعلت الفاصلة أقدر على الزجر وأشد في التخويف، وقيل: إن هذا العذاب المراد به عذاب الآخرة، وهو عذاب دائم مستمر، فناسبه حذف الياء، كما أنه عذاب خفي قدره فلا يستطيعون تصور هوله، وهذا أيضاً يناسبه حذف (الياء).

٥. يقول الله - تعالى -: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ (سورة، ص الآية: ١٤)

يقول الإمام ابن عاشور: "فحذفت ياء المتكلم للرعاية على الفاصلة، وأبقيت الكسرة في حالة الوصل"<sup>(١)</sup>، وهذه الآية تقع في سياق وعيد المكذبين بالعذاب، وتحكي ما وقع للأمم السابقة نتيجة تكذيبهم لأنبيائهم، وعليه فإنها سيقى لتؤكد ما اشتمل عليه السياق من وعيد بالعذاب النافذ القاطع السريع لهؤلاء المعاندين، وفيها - أيضاً - تسليية للنبي محمد - ﷺ -؛ حيث أوضحت أن الأنبياء من قبله قد كذبوا وأوذوا وصبروا حتى آتاهم نصر الله، ومن يتأمل تلك الآية يجد أن الفاصلة وقعت نتيجة لما قبلها، وصيغت بأسلوب يتناسب مع ردع المشركين، وتسليية النبي - ﷺ -؛ حيث صدرت الفاصلة بـ (الفاء) الدالة على التعقيب والسرعة، وتأمل التعبير بالفعل (حق) وما فيه من تأكيد الحصول بمعناه وزمانه؛ إذ إنه أتى على صيغة الماضي الدالة على أن العذاب أصبح واجباً، ولما كان السياق سياق زجر وتخويف ناسبه أن يكون الفعل على سبيل الحسم والقطع والسرعة، وهذا يتناسب مع حذف الياء من (عقاب)، ويتوافق مع قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأعراف، من الآية: ١٦٧)، كما سبق وذكر أن السياق فيه جانب اشتمل على تسليية للنبي - ﷺ - مما لاقاه من قومه من كفر وشقاق واستهزاء به وبدعوته، فذكر له حال الأمم السابقة مع رسلهم وما حل بهم، وكان من كمال التسليية أن بين له أن هذا العقاب مع ما فيه من سرعة وشدة فهو - أيضاً - سهل و يسير على الله - تعالى -، فكان

١. التحرير والتنوير: ٢٣/٢٢٣.

حذف (الياء) بما أحدثه من خفة في نطق اللفظ فيه دلالة على سهولة ويسر هذا الفعل، كما أن عدم ظهور الضمير فيه إخفاء لمظاهر الرحمة التي حرم الله منها هؤلاء المكذبين حتى حل بهم غضب الله ونزل عليهم عذابه، كما أن حذف الياء فيه ملمح خفي إلى أن هؤلاء المقصودين بالخطاب وهم العرب وإن علموا حال بعض الأمم السابقة وما حل بهم إلا أن علمهم كان إشارات مجملة ولم يكونوا على علم بتفاصيل من قبلهم، وقد صرح القرآن بذلك في قوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعُيُبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (هود: ٤٩)، وهذا يدل على أن هذا العذاب إنما هو من الأمور التي خفى نوعها وطبيعتها عن هؤلاء، كما أن الإمام البقاعي ذكر ملمحا آخر لحذف (الياء) فيقول: "وحذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى من عذابه بأدنى نسبة كاف في المراد وإن كان المعذب جميع العباد"<sup>(١)</sup>، وهنا يربط الإمام البقاعي بين دلالة مبنى الكلمة على معناها، مستفيدا من قاعدة (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)، فلما كان المقام مقام تخويف، ذكر لهم أن أدنى العذاب وأقله كافية بأن تحيط بهم فما بالك بأكثر العذاب وأشدّه؛ وبهذا تأتي الفاصلة لتحاكي المعاني المرادة حيث سرعة العذاب وسهولة مجيئه على الله وخفاء طبيعته على المخاطبين به، ولعل هذا يدخل في باب مشاكلة اللفظ لمعناه، أو دلالة المبنى على المعنى .

٦. يقول الله - تعالى -: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ﴾ (سورة: ق، من الآية : ١٤)

يقول الإمام ابن عاشور: "وحذفت ياء المتكلم التي أضيف إليها (وَعِيدٌ) للرعي على الفاصلة"<sup>(٢)</sup>، وهذه الآية وردت في سياق يتشابه مع الموضوع السابق؛ حيث أنتت في سياق زجر الكافرين المعاندين لرسول الله - ﷺ - المكذبين للحق الذي جاء به، والمتعجبين من مجيئه لهم، فقصدها منها زجرهم وتخويفهم عن طريق تذكيرهم بحال الأمم السابقة وما نزل بهم جراء تكذيبهم، كما أن فيها

١. نظم الدرر: ١٧ / ١٠.

٢. التحرير والتتوير: ٢٦ / ٢٩٧.



تسلبية للنبي - ﷺ -، وهذه الأمور تتفق مع الموضوع السابق، فكانت الأسرار البلاغية من حذف (الياء) في (وعيد) تتشابه مع تلك التي ذكرت في الموضوع السابق؛ حيث سرعة نزول العذاب، وسهولته على رب العالمين، واخفاء جانب الرحمة الذي يرجى من إضافة الفعل لله - تعالى -.

٧. يقول الله - تعالى -: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ (سورة الشعراء: ١١٧)

يقول ابن عاشور: "وحذف (الياء) من قوله: ﴿كَذَّبُونِ﴾ للفاصلة"<sup>(١)</sup>، ومن يتأمل السياق يجد أن هذه الآية وردت على لسان نوح - ﷺ -، ومعلوم أن نوحا - ﷺ - استمرت دعوته لقومه زمنا طويلا ودام تكذيبهم له، بدليل قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ (سورة نوح: ٤ - ٥)، فحذف النظم (الياء)؛ للدلالة على استمرار تكذيبهم ودوام إعراضهم، كما أن حذف (الياء) فيه إشارة إلى أن نوحا - عليه السلام - كره أن يصرح بما يدل على أن التكذيب وجه لشخصه، فحذف (الياء)، وهذا الحذف أتى متناسبا مع طلبه نزول العذاب الذي أتى به النظم بعد هذه الآية على لسان نوح - ﷺ - في قوله - تعالى -: ﴿ قَافَتْحُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٨)، وكان نوحا - ﷺ - أراد أن يمهّد للدعاء عليهم، فيقول: إن تكذيبهم دام واستمر، وعنادهم بلغ الغاية من التأزم، حتى لم يعد موجهها لي، بل شمل دعوتي، وما أرسلت به إليهم، فهذا أوجب لعذابهم، وأدعى إلى استئصالهم، وكان النظم بحذف الياء يريد أن يظهر حرص نوح - ﷺ - على أن دعائه عليهم لم يكن انتصارا لنفسه، بل سبب الدعاء هو ما وجده منهم من عناد جعلهم يستهزئون بدعوته عامة، ويرفضون كل ما دعا إليه وأتى به، وعليه فإن قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ ليس إخبارا بالتكذيب؛ لعلم نوح - ﷺ - "أن عالم الغيب والشهادة أعلم، ولكنه أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني، وإنما أدعوك

لأجلك ولأجل دينك، ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك" <sup>(١)</sup>، وقد ناسب ذلك أن يحذف من الفاصلة (الياء) التي لو أتت لاستشعر المتلقي أن موقف نوح من قومه ودعاه عليهم كان سببه الأصيل هو تكذيبهم له خاصة، فكان موقف نوح انتصاراً لنفسه، وهذا ما نفاه النظم بصياغته لألفاظه صياغة محكمة وبأسلوب عذب بليغ.

٨. يقول الله - تعالى -: ﴿فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (سورة الشعراء: ١٢٦)

يقول الطاهر بن عاشور: " وحذف ياء (وَأَطِيعُوا) للفاصلة، كحذفها في قصة نوح وإبراهيم أنفأ" <sup>(٢)</sup>، والمتأمل في هذا الأمر القرآني يجد أنه ورد عشر مرات <sup>(٣)</sup>، كلها على لسان الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم، وقد حرص النظم الحكيم على حذف الياء؛ ليشير إلى المداومة والاستمرار في الطاعة، فالأنبياء - عليهم السلام- لما طلبوا ذلك كان مرادهم أن تكون طاعتهم واستجابة دعوتهم دائمة ومستمرة، كما أن في حذف (الياء) تجريداً من الذات وإبراءً للنفس من قبل أنبياء الله، وبياناً من النظم الحكيم على بيان أن طلب الطاعة الوارد على لسان الأنبياء لم يكن لشخصهم أو لرغبتهم، فهم لا يريدون طاعة لأنفسهم، بل إن مقصدهم الأعظم وما جاءوا به هو طلب الطاعة فيما يأمرون به وينهون عنه بأمر الله - تعالى - وطاعته.

١. الكشاف: ٣ / ٣٢٥.

٢. التحرير والتنوير: ١٩ / ١٦٥.

٣. المواضع هي: (سورة آل عمران: ٥٠)، (سورة الشعراء: ١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١،

١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩)، (سورة الزخرف: ٦٣) .

### المبحث الثالث

#### إحلال لفظ محل آخر في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية

من المسلم به أن نظم القرآن لألفاظه وتراكيبه يعد وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويظهر ذلك في دقة اختيار ألفاظه، وروعة انتقاء كلماته، وتفرد استخدامها داخل السياق؛ ووضع كل لفظ الموضع اللائق به؛ للوقوف على عمق الألفاظ ومقاصدها وآثارها، ولطائف عجائبها وأسرارها، وما تختزنه من طاقات بيانية وتعبيرية، لها دلالتها وفصاحتها الخاصة، وعلى الرغم من هذه الحقائق والمسلمات إلا أنك تجد الطاهر بن عاشور يعلل لظاهرة إحلال لفظ محل آخر في الفاصلة القرآنية لمجرد رعاية الفاصلة، وذلك على النحو التالي:

١- مجيء الفعل مكان الاسم، وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ

لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة يس: ٦٧)

يقول الطاهر بن عاشور: " وكان مقتضى المقابلة أن يقال: ولا رجوعاً، ولكن عدل إلى (وَلَا يَرْجِعُونَ) لرعاية الفاصلة"<sup>(١)</sup>، وقد أتى رأي الطاهر بن عاشور موافقاً لأقوال عدد من المفسرين الذين ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، أي ولا (رجوعاً)، فوضع الفعل موضع الاسم لمراعاة الفاصلة<sup>(٢)</sup>، والحق أن القرآن إذا عدل عن أمر إلى غيره كان وراء عدوله أسرار ونكات بلاغية تحتاج إلى تأمل وتدقيق، ومن ينظر إلى هذا العدول يجد أن النظم عدل إلى الفعل المضارع الذي يفيد التجديد والاستمرار ووجه له النفي، وهنا يكمن السر وراء هذا العدول، وقد لاحظ الإمام البقاعي هذا الملمح مما جعله يرفض الركون إلى القول برعاية الفاصلة في هذا السياق، وصرح بأن القول بمجرد رعاية الفاصلة سبب في ضياع المعاني النفيسة للنظم، فيقول: ﴿فَمَا

١ - التحرير والتنوير: ٢٣ / ٥٢.

٢. من هؤلاء الإمام البيضاوي يراجع، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ / ٢٧٢، والإمام أبو السعود، يراجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٧ / ١٧٧.

اسْتَطَاعُوا<sup>١</sup> أي: بأنفسهم بنوع معالجة ﴿مُضِيًّا﴾ أي: حركة إلى جهة من الجهات؛ ثم عطف على جملة الشرط قوله: ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، أي: يتجدد لهم بوجه من الوجوه رجوع إلى حالتهم التي كانت قبل المسخ، دلالة على أن هذه الأمور حق، لا كما يقولون من أنها خيال وسحر، بل ثباتها لا يُمَكِّنُ أحداً من الخلق رفعه ولا تغييره بنوع تغيير، هذا المراد إن شاء الله، ولو قيل: ولا رجوعاً - كما قال بعضهم: إنه المراد، لم يفد هذا المعنى النفيس<sup>(١)</sup>، وقد لاحظ الإمام البقاعي دلالة الفعل المضارع على التجدد وما نثرته تلك الدلالة على السياق من يأس وانقطاع أمل لكل من يحاول أن يغير ما سيؤول إليه حال من سيقع عليهم هذا الطمس.

ويلحظ الإمام الألويسي سرا من أسرار المغايرة والتعبير بالفعل (يرجعون) دون (رجوعاً) وذلك فيما نقله عن الإمام الرازي؛ فيقول: "والتعبير بذلك دون الاسم الصريح قيل: للفواصل مع الإيماء إلى مغايرة الرجوع للمضي بناء على ما قال الإمام من أنه أهون من المضي؛ لأنه ينبئ عن سلوك الطريق من قبل، والمضي لا ينبئ عنه، وقيل: لذلك مع الإيماء إلى استمرار النفي نظراً إلى ظاهر اللفظ، ويكون هناك ترق من جهتين إذا لوحظ ما أوماً إليه الإمام، وقيل له مع الإيماء إلى أن الرجوع المنفي ما كان عن إرادة واختيار فإن اعتبارهما في الفعل المسند إلى الفاعل أقرب إلى التبادر من اعتبارهما في المصدر"<sup>(٢)</sup>.

ومن يدقق النظر يجد أن النفي موجه إلى أمرين، هما: (المضي) (والرجوع) والإمام الرازي يكشف عن الفرق بين الأمرين بقوله: "قد قدم المضي على الرجوع؛ لأن الرجوع أهون من المضي؛ لأن المضي لا ينبئ عن سلوك الطريق من قبل، وأما الرجوع فينبئ عنه، ولا شك أن سلوك طريق قد روي مرة

١. نظم الدرر: ٤ / ٢٧٢.

٢. روح المعاني: ١٢ / ٤٥.

## الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

### تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

أهون من سلوك طريق لم ير، فقال: (لا يستطيعون مضياً) ولا أقل من ذلك، وهو الرجوع الذي هو أهون من المضي<sup>(١)</sup> يريد أنه بدأ بنفي الأصعب ثم نفي الأقل منه، فالمضي يحتاج إلى عزم وشدة؛ لذا جاء النفي موجهاً إلى الاستطاعة لا إلى المضي نفسه؛ لأن المضي يحتاج إلى عزم وجهد لما فيه من سلوك طريق غير مألوف ولا معلوم، بخلاف الرجوع، فقد وجه النفي للفعل مباشرة؛ لأنه لا يحتاج إلى جهد ولا عزم؛ لما فيه من ألفة وتعود على هذا الفعل، كما تلاحظ أن النظم عدل في استعمال أدوات النفي من (ما) مع (المضي) إلى (لا) مع (يرجعون) ومعلوم أن بين (ما) و(لا) فروق في معنى النفي، يقول الإمام سيبويه: "وأما (ما) فهي نفي لقوله: (هو يفعل) إذا كان في حال الفعل، فتقول: (ما يفعل)... وتكون (لا) نفياً لقوله: (يفعل) ولم يقع الفعل، فتقول: لا يفعل".<sup>(٢)</sup>

وهذا الفارق في المعنى يشير إلى أنه إذا نزل المسخ بالكافرين فلن يستطيع أحد منهم استكمال ما خرج إليه، بل سيلزم كل واحد منهم مكانه ولن يكون لديهم أي قدرة لمزاولة المضي الذي كانوا متلبسين به، مما يدفعهم للبحث عن وجهة أخرى غير التي كانوا عليها، فيظنون أنهم قادرون على الرجوع إلى حيث كانوا ظناً منهم أنهم أقدر على الرجوع لعلمهم به وسلوكهم طريقه من قبل، إلا أن ظنهم يخيب؛ فلا يتمكنون - أيضاً - من الرجوع وإن حاولوا ذلك مرارا وتكرارا.

٢- مجيء الشهر تمييزاً دون غيره كالיום والسنة، كما في قول الله تعالى:

﴿لَيْكَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (سورة القدر الآية: ٣)

١. مفاتيح الغيب: ٢٦ / ٣٠٤.

٢. الكتاب، عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ): ٤ / ٢٢١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

يقول الطاهر بن عاشور: " وإنما جعل تمييز عدد الكثرة هنا بالشهر للرعي على الفاصلة التي هي بحرف الراء"<sup>(١)</sup>، ولعل هناك أسبابا وأسرارا وراء مجيء التمييز شهرا غير رعاية الفاصلة، ويكشف عن بعضها ما جاء في سبب نزول هذه السورة المباركة، أن النَّبِيَّ - ﷺ - ذكر رجلاً من بني إسرائيل لَبَسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} قَالَ: خَيْرٌ مِنَ اللَّيْلِ لَبَسَ فِيهَا السِّلَاحَ ذَلِكَ الرَّجُلُ"<sup>(٢)</sup> فأنت أفاظ الآية موافقة للحادثة؛ وهذا لكمال الألفة بتحقيق الثواب، خصوصا وأن العرب لم يكونوا أهل عد ولا حساب، فإذا ذكر ما يعادل الألف شهر لكان فيه مخالفة عن أصل الحكاية التي سمعوها من رسول الله، والتي نص فيها على ألف شهر، كما أن في ذكر "الألف مبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون أبلغ من السبعين في تعظيمها"<sup>(٣)</sup>.

١. التحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٥٩.

٢. أسباب نزول القرآن، للنيسابوري (المتوفى: ٤٦٨ هـ) ص: ٤٦١، تحقيق: عصام بن عبد

المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٣. نظم الدرر: ٢٢ / ١٧٩.

## الخاتمة

الحمد لله على ما فتح به وأعان عليه ويسر، وأشهد أن لا إله إلا الله، عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وأشهد أن سيدنا محمداً - ﷺ - عبده ورسوله أشرف الخلق، وسيد المرسلين.

فبعد هذه الجولة البلاغية التي تناولت ظاهرة من ظواهر الفواصل القرآنية في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، آن للقلم أن يخط حصاد هذا التطواف، وأن يلم خيوطه وشجونه، في إشارة موجزة إلى أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، وهي على النحو الآتي:

١. منهج الطاهر بن عاشور في حديثه عن الفواصل القرآنية لم يميل إلى القول بالرعاية مطلقاً، ولم يرفضها قطعياً، وإنما عدد من طرائق تناول للفواصل؛ فأظهر الأسرار البلاغية في الظواهر التي وردت داخل الفاصلة أحياناً، واكتفى تارة بالقول بالرعاية.

٢- لم يكن اكتفاء الطاهر بن عاشور بالقول بالرعاية نابغاً من اعتقاده أن القرآن قصد ذلك لمجرد النغم الصوتي، بل إيماناً منه بأن رعاية الفاصلة يعد لوناً من ألوان الإعجاز القرآني لا يقل عن غيره من فنون البلاغة الأخرى.

٣. أظهر البحث أن الفاصلة القرآنية لم تفصل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه، بل جمعت بين الوجهين، وجه الصوت والنغم، ووجه المضمون والمحتوى، دون تكلف أو خلل.

٤- أثبت البحث أن كل ما يدخل الفاصلة من ظواهر بالزيادة أو بالقص، بالتقديم أو بالتأخير... إنما أتى قاراً في مكانه، ولو استبدل به غيره؛ لظهر النشاز على السياق، سواء من جهة المعنى أم من جهة الجرس الصوتي.

٥- تأتي الفواصل القرآنية في جمالها الصوتي متحررة من قيود النغم الملزم، فإذا وجد في مراعاة النغم ما ينقض المعنى أو ينقصه، تخلت عن المماثلة وتغايرت عن أختها، وأتت على النحو الذي يكمل الدلالة ويستقيم معه المراد.

٦- ما ورد من ظواهر لغوية داخل تراكيب بعض الفواصل القرآنية كالتقديم والتأخير، والحذف... لم يكن القصد من ورائه مجرد رعاية الفاصلة، بل جاء لإحكام الفواصل في مبناها ومعناها، حتى إنك لتجد تلك الظواهر تجمع شتات ما قبلها، وتؤكد على ما سبقها، وتكمل ما قد يعترى الأفهام من نقص في المعاني المقصودة.

٧- للوقوف على دلالات الظواهر التي توجد في بناء الظواهر يجب أن يستتق السياق ويوقف مع مقاصد الآيات؛ حتى ينكشف للقارئ أثر تلك الظواهر في بناء الدلالات ومجيء المعاني على الوجه المراد.

٨- أدت الظواهر الأسلوبية أحيانا دورا في ربط الآيات بعضها ببعض حيث دلت على ما سبقها ووطأت لما بعدها.

٩- ينبغي ألا يبذل دارس القرآن الكريم كل جهده وراء المناسبات الصوتية ويقف ببلاغته عند حد جمال اللفظ وحسن منطقه، بل يجب عليه أن ينقب مع ذلك عن بدائع الأسرار ودقائق المعاني فيجمع بين الحسنيين ويقف عند تمام الفائدة.

### توصيات البحث:

١- قضية الفاصلة القرآنية تحتاج إلى دراسات كثيرة خاصة عند المفسرين؛ وذلك للوقوف على المناهج المختلفة في تناول الظواهر التركيبية ومعرفة الأسرار البلاغية.

٢- ما ذكره الإمام الطاهر من رعاية فاصلة، وأردف معه سببا آخر مجملا كالتخفيف، أو الاهتمام... يحتاج إلى دراسة مستقلة تظهر ما وراء المجمل من دقائق وأسرار.

وأخيراً، فهذا ما يسر الله درسه وبذله في هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن اللطيف الرحمن، وما كان فيه من زلل فمن نفسي ومن الشيطان، أسأل الله أن يعفو عن الزلة، وأن يقبل العثرة، وأن يجعله من العلم النافع الخالص الباقي، والله أعلى وأعلم، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



### حصر بالآيات القرآنية محل الدراسة

**أولاً: حصر بالآيات الواردة في البحث والتي ورد فيها التقديم**

**والتأخير في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية:**

رقم الآية	السورة	الآية	ع
١١٣	المائدة	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾	١
١٢٠	المائدة	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢
٤	الأنعام	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾	٣
١٩	يونس	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	٤
٣٤	النحل	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	٥
٧١	النحل	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾	٦
٧٠	طه	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾	٧
٥٥	الشعراء	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَعَائِطُونَ﴾	٨
٢٠	القصص	قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾	٩

		يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠﴾	
٣٩	القصص	قول الله - تعالى -: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾	١٠
١٠	السجدة	قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾	١١
٢١ : ١٩	فاطر	قول الله - تعالى -: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾	١٢
٣١	ياسين	قول الله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجَعُونَ﴾	١٣
٥٢	الرحمن	قول الله - تعالى -: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾	١٤
٢٢	الغاشية	قول الله - تعالى -: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾	١٥

### ثانياً: حصر بالآيات الواردة في البحث والتي ورد فيها الحذف في الفاصلة بين الإعجاز والرعاية.

رقم الآية	السورة	الآية	م
٤٠	البقرة	قول الله - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾	١
٧٨	الأنعام	قول الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	٢
١٤	الشعراء	قول الله - تعالى -: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾	٣

الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

٨	ص	قوله الله - تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾	٤
١٤	ص	قوله الله - تعالى: ﴿نُ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾	٥
١٤	ق	قوله الله - تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِّعَ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾	٦
١١٧	الشعراء	قوله الله - تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾	٧
١٢٦	الشعراء	قوله الله - تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	٨

**ثالثاً: حصر بالآيات الواردة في البحث والتي ورد فيها إحلال لفظ  
محل آخر في الفاصلة بين الإعجاز والرعاية.**

رقم الآية	السورة	الآية	م
٦٧	يس	قوله الله - تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَنْطَعُوا مَضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾	
٣	القدر	قوله الله - تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	

## المراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ( المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٣. أسباب نزول القرآن، للنيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
٤. الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م
٥. الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن: ٢٥٨، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م
٦. إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م
٧. إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، دار السلام .
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
١٠. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
١١. التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، : ١٩٨٤ هـ.

الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

١٢. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح، دار الوضاح، الأردن - عمان.
١٣. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.
١٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، ١٩٩٨م
١٥. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف، و محمد زغلول، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٣٧٩هـ.
١٦. الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
١٧. الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، د/ سامح القليني، مكتبة وهبة، الطبعة الخامسة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
١٨. دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
٢٠. عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي (المتوفى: ٧٢١هـ)، تحقيق:

- هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى،  
١٩٩٠ م.
٢١. الكتاب، عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)،  
تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة:  
الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو،  
الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت،  
الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٢٣. لسان العرب، محمد منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار  
صادر، بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد، المعروف  
بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد  
الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، : ١٤٢٠ هـ.
٢٥. مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، للإمام البقاعي،  
(المتوفى: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ  
- ١٩٨٧ م.
٢٦. معاني القرآن، الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي  
وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.
٢٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي  
(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،  
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٢٨. مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي  
(المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:  
الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

الفاصلة القرآنية بين إعجاز النظم وادعاء الرعاية

تفسير التحرير والتنوير نموذجاً

٢٩. ملتقى أهل اللغة: عبد المجيد العرّابلي وآخرين، منشور إلكتروني عام ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م .
٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣١. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، (المتوفى: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.
٣٢. نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م .

### فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٦٥	ملخص عربي
١٥٦٦	ملخص إنجليزي (Abstract)
١٥٦٧	المقدمة
١٥٧٠	التمهيد
١٥٨٠	المبحث الأول: التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية.
١٦٠٤	المبحث الثاني: الحذف في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية.
١٦١٣	المبحث الثالث: إحلال لفظ محل آخر في الفاصلة القرآنية بين الإعجاز والرعاية.
١٦١٧	الخاتمة
١٦٢٢	فهرس المصادر والمراجع
١٦٢٦	فهرس الموضوعات